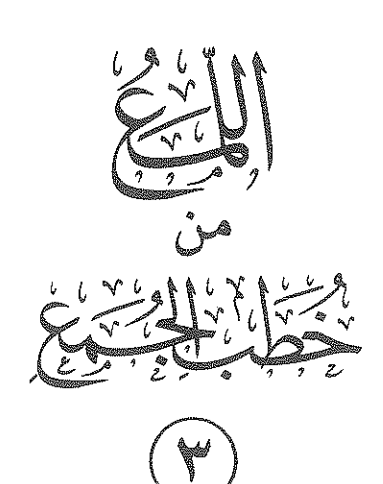

اللمع
من
خطب الجمع
٣

الطّبعَة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار ابن خزيمة

للنشـر والتوزيـع

المملكة العربية السعودية

الرياض - هاتف ٤٧٦٩٩٣٢

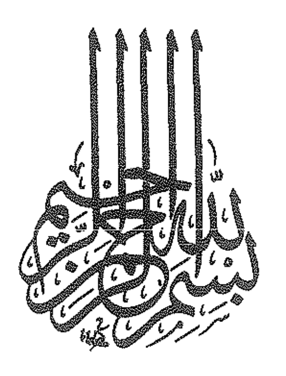


المجموعة الثالثة

بقلم الفقير إلى عفو ربه

الشيخ عبدالله بن صالح القصير



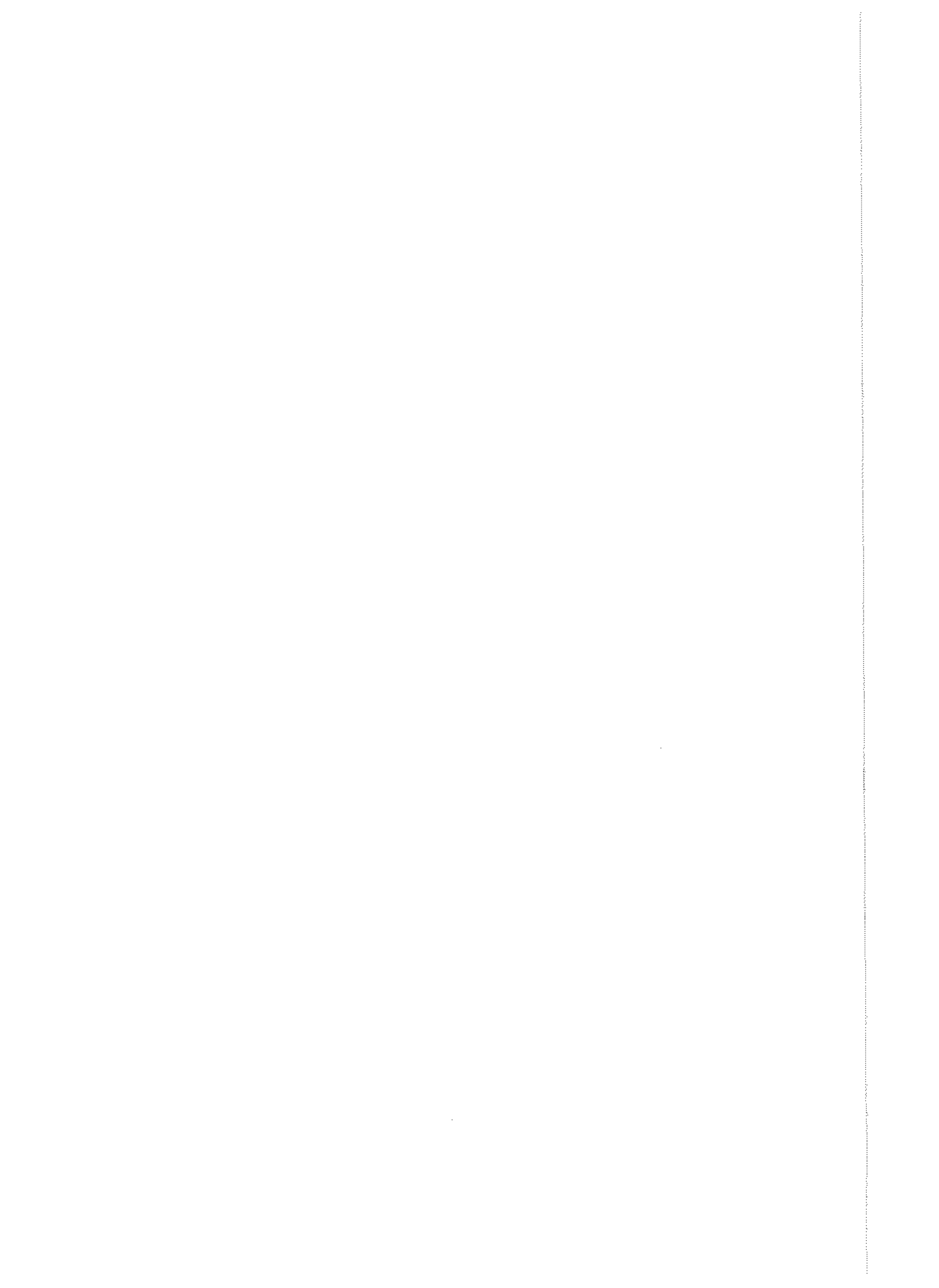


المقـــدّمَة

الحمد لله وحده، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

وبعـــد: فهذه المجموعة الثالثة من «اللمع من خطب الجمع» أقدمها لإخواني في الله من طلبة العلم ومحبي الخير، مشتملة على تذكرة وعظة في موضوعات مهمة، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بما قبلها، وأن يجعلها خالصة لوجهه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الفقير إلى عفو ربه
الشيخ عبدالله بن صالح القصير
٢٢/٣/١٤١٨هـ



في الحث على العناية بكتاب الله

الحمد لله الكريم المنان، الرحيم الرحمن، الذي علم القرآن، وجعله معجزة لرسوله محمد ﷺ مستمرة على تعاقب الزمان، أحمده سبحانه إذ حفظ كتابه من التبديل والزيادة والنقصان، ويسَّره للذكر حتى استظهره صغار الولدان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، والناصح المبين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين وجعله حجة على الخلق أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق تقواه، وأطيعوه تفوزوا بمحبته وثوابه ورضاه، وتعلموا كلامه، وتدبروا كتابه، واتبعوا هداه تهتدوا لكل عمل صالح مبرور، وتنالوا من الله تعالى في الدارين عظيم الأجور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[1].

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ٢٩ ـ ٣٢.

فهو المخرج من كل فتنة، والعصمة من كل ضلالة، والنجاة من كل هلكة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يخلق من كثرة الرد، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر وهدي إلى صراط مستقيم.

أيها المسلمون: اتلوا القرآن فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، ويبلغكم به رفيع الدرجات؛ فإنه هو والله معجزة الدهور، وآية العصور، وسفر السعادة، ومنهج العدالة، وقانون الفريضة، والداعي إلى كل فضيلة، والواقي عن الوقوع في الرذيلة؛ يقول تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

فلو تدبر المرء القرآن واتبع ما فيه من الهدى والبيان وعمل بما فيه من الوصايا الفصيحة والنصائح الصحيحة لصار سعيداً في نفسه وأهله مسعداً لبلده ومجتمعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[٢].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٢) سورة يونس، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

فاستبشروا بالقرآن، وافرحوا به، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واعملوا به، واحترموه وعظموه، وتدبروه وتفكروا فيه، واقتدوا به، واجعلوه لكم نوراً وهدى وتبصرة ودواءً وشفاءً وموعظةً وذكراً، وتخلقوا به ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تسكثروا به.

أيها المسلمون: صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» وقال: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**». وقال: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة**». وقال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**». وقال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين**». إلى غير ذلك من النصوص الصحيحة والأخبار الصريحة التي تحث على تعلم كتاب الله، والعناية به، وتدبره وفهمه، والعمل به، وبيانه، والدعوة إليه، ومذاكرته، وتعليمه لمن لا يعلمه؛ فإنه تبيان لكل شيء، ويهدي للتي هي أقوم، فأقبلوا على تعليمه وتلاوته وتدبره وفهمه والعمل به والتخلق به والدعوة إليه وتعليمه لمن لا يعلمه من أولادكم ونسائكم وذويكم وإخوانكم ومن حولكم ومن تلتقون به، وربوهم عليه، ورغبوهم على ذلك، وأدبوهم به حتى يألفوه ويحبوه ويحترموه ويعظموه ويستأنسوا به ويقبلوا عليه ويتفكروا فيه؛ ليطهر أخلاقهم ويصلح قلوبهم ويزكي نفوسهم ويعملوا به ويدعوا إليه ويكونوا من حملة القرآن وأهله المعروفين به؛ فإن من قرأ القرآن وعمل به فقد أورثه الله كتابه وذلك الذي اصطفاه الله تعالى واجتباه

وما أعظم الخير الذي آتاه ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١).

ولا يكون المرء عالماً حقاً ولا موصوفاً بالعلم صدقاً حتى يكون ممن حفظ آيات الله علماً وعملاً وتميز بالتخلق بها بين الورى ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(٢). فإنه نور وهدى وموعظة وذكرى وتبيان وشفاء؛ فمن واظب على تلاوته وتأدب بما ينبغي له من أدب مخلصاً لله في ذلك، نفعه الله بذلك، فاستضاء بنوره، واهتدى بهداه، واتعظ بموعظته، وانتفع بذكراه، واستصلح به قلبه، به شفاء الله، من أمراض القلوب وأدواء الصدور؛ يقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾(٣).

أيها المؤمنون: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: من تأمل كلام الله وعظيم بيانه وجد ملكاً له الملك كله وله الحمد كله، أزمَّة الأمور كلها بيده، ينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف عليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، فيذكرهم بنعمه عليهم ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم عن فعله في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء؟ ويضرب الأمثال

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

وينوع الأدلة والبراهين، يدعو إلى الجنة دار النعيم والتكريم، ويذكر أوصافها وحسنها تشويقاً لأهل الإيمان، ويحذر من النار دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها زجراً عن الكفر والفسوق والعصيان؛ ويذكر عباده فقرهم إليه وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين. فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه القلوب وتتنافس من القرب منه؟.

فالقرآن أيها المؤمنون مذكر بالله مقرب إليه؛ فينبغي للمسلم أن يعنى بتعليمه، ويكثر من تلاوته؛ لأنه النور والشفاء والرحمة والروح والهدى والذكر الحكيم والفرقان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٩، ١٠.

الخطبة الثانية:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[1].

أحمده سبحانه وصف القرآن بأنه ﴿ بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مضاد ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[4]. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الراسخين في العلم بالكتاب يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١ ـ ٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الجمعة، الآيات: ٢ ـ ٤.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى، واتلوا كتابه، واعملوا بطاعته، وارجوا ثوابه، وتجنبوا معصيته تأمنوا عقابه، وداووا بكلامه أمراض قلوبكم، وزنوا به أعمالكم؛ فاجعلوه لكم إماماً ونوراً ولا تتخذوه مهجوراً.

عباد الله: إن كثيراً من الناس انشغلوا عنه بجمع الحطام، واستبدلوه بالقيل والقال ونحو ذلك من رديء الكلام، الذي يفسد القلوب، ويعمي الأبصار، ويجلب على صاحبه في الدارين أنواع الخيبة والخسار.

والصغار انشغلوا عنه بأمور ترفيهية ووسائل ملهية لا تفيدهم شيئاً فضلاً عن أن تربيهم على حبه وتقوي فيهم الصلة به، فكثير منهم لا يرفعون به رأساً ولا يعتنون به درساً، ولا يهتمون له في الدراسة النظامية عند الامتحان كغيره من العلوم التي هي من اختراع الإنسان، بل تعودوا أنهم به ناجحون، ولو كانوا به يتهاونون، وهذا مما أضعف أثره في النفوس كما ضعف شأنه من بين الدروس، وبقية وقتهم مضيع في الشوارع وأماكن اللهو، مما أدى إلى جهلهم بالقرآن وحرمانهم مما فيه من الهدى والبيان. وكم من شخص يحمل أعلى المؤهلات ويشغل وظيفة كبيرة في المجتمعات وهو لا يحسن تلاوة ما يحتاج إليه منه في الصلاة فضلاً عن أن ينتفع بمواعظه وبيانه مما جعله ثقيلاً على نفوس الكثيرين حتى لا يتلوه إلا في مناسبات معينة محدودة، وهم في ذلك غير مقبلين، فكان الأمر عند الكثيرين كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[1].

وكم في المجتمعات المسلمة الأخرى من هجروا القرآن بفنون

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

الهجر وتركوه وراء الظهر. فمنهم من هجر استماعه والإصغاء إليه والإيمان به، ومنهم من هجر العمل به والوقوف عند حدوده من تحليل حلاله وتحريم حرامه وإن قرأوه وجودوه، ومنهم من هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقد أنه لا يفيد اليقين ولا يكفي وحده لصلاح أمور المسلمين، ومنهم من هجر تدبره ومعرفة ما أراد منه من تكلم به، ومنهم من هجر الاستشفاء به والتداوي به من جميع أمراض القلوب والأبدان. فلم يبق منه عند هؤلاء إلا رسمة تزين بنسخه المكتبات، وتعلق آياته على الجدران والواجهات، تصنع منه الحجب والتمائم وغيرها مما تؤكل به أموال العوام ويكسب الأوزار والآثام ويشغل عما فيه من الحكم والأحكام.

عباد الله: إنه لابد من تعلم كتاب الله وحفظه والعمل به وسؤال الله به؛ فإنه ذكر لكم، وسوف تسألون؛ فتعلموه من أهله الراسخين في العلم، ولا يمنعن شيخاً كبُر سنه ولا ذا فضل فضله عن أن يأخذ العلم عمن هو دونه.

عباد الله: تعلموا كتاب الله واتلوه وتفكروا فيه وتدبروه وتخلقوا بأخلاقه، واعملوا به وادعوا إليه، واهتدوا واهدوا بهداه، ولا يمنعنكم عن ذلك كبر السن أو الصنائع والمهن، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١].

نفعني الله وإياكم بهداه، وجعلنا ممن عمل به وفاز برضاه إلى يوم الدين، والله أعلم. وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

حقيقة التوحيد

الحمد لله الذي له الملك ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾(١).

أحمده سبحانه هو القائل في محكم بيانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾(٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾(٣).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين والمأمور أن يعبد الله مخلصاً له الدين وأن يكون أول المسلمين ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾(٤).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الروم، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣.
(٤) سورة الزمر، الآيات: ١١ ـ ١٥.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خيرة أتباع الأنبياء والمرسلين وأئمة الأمة في توحيد رب العالمين ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُۥ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

أما بعد:

فيا أيها الناس! اعبدوا الله واتقوه وأثنوا عليه بما يليق به واشكروه على أن هداكم للتوحيد، وأنقذكم من الشرك والتنديد، واسألوه سبحانه المزيد، من الهدى والعمل الصالح، والعصمة من الشرك والبدع وأنواع القبائح.

عباد الله: لكل شيء حقيقة، وحقيقة التوحيد اعتقاد إلٰهية الله تعالى، وهي التفرد بكل كمال مطلق من كل وجه، والتنزه عن كل عيب ونقص، وإخلاص العبادة لله، والكفر بكل معبود سواه، والبراءة من كل الشرك وأهله.

فالتوحيد هو أساس الطاعات وأجل القربات، وآكد الحقوق المتحتمات، وأعظم واجب على العباد، وموجب السعادة والهدى والأمن في المعاش والمعاد. من أجله خلق الله الإنس والجان، وهو أعظم وأول مأمور به في القرآن، وبه بعث الله جميع المرسلين إلى الثقلين، واشتملت عليه الكتب المنزلة على الرسل الأولين منهم والآخرين، فمن حقق التوحيد جاء آمناً يوم القيامة أهلاً لرضوان الله وجنته، وما أعد الله فيها من ألوان الكرامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[2] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[(١)]، ومن نقصه ولم يتب من موجبه كان عرضة للعذاب، ومع ذلك فمآله إلى الجنة كما دل على ذلك محكم القرآن وصحيح السنة، وذلكم من أدلة فضل التوحيد وأنه أعظم نعم الله على العبيد.

أيها المسلمون: وأما الجرم الأخطر والذنب الذي لا يغفر فهو الشرك الذي هو أعظم الظلم وأكبر موجبات الإثم، فإنه يحبط الأعمال ـ ما لم يتوبوا منه ـ ويشقي أهلهم في الحال والمآل، ويخرجهم من الإسلام، ويجعلهم حطب جهنم مع الأصنام، فمن مات مشركاً فقد حلت عليه اللعنة ومأواه النار وحرم الله عليه الجنة، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[(٢)]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[(٣)]، ويقول جل شأنه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[(٤)]، ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٥)]، ويقول تبارك اسمه: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[(٦)]، وكم في القرآن والسنة من محكم النصوص المشتملة على الزجر عن الشرك بألوان التهديد وأصناف الوعيد رحمة من الله تعالى بالعبيد، وإقامة للحجة على كل جحود عنيد.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٩.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

أيها المسلمون: الشرك الذي زجر الله عنه وحذر أولياءه منه، وتوعد عليه بأشد العقوبات في الحياة وبعد الممات، هو دعوة غير الله معه، وتسوية غيره به فيما هو من خصائصه، فمن سجد للمخلوقين أو نذر لهم القرابين أو دعاهم أو استعان بهم أو استغاث بهم فيما لا يقدر عليه إلا رب العالمين فقد أشرك وكفر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[(٢)]، وقال سبحانه عن أهل النار: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[(٣)]. فتردَّوا في الجحيم بسبب تسويتهم المخلوقين بالرب العظيم؛ بالدعاء، والرجاء، والاستعانة، والاستغاثة، والنحر، والنذر، وغير ذلك من مظاهر الشرك والكفر.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واحذروا الشرك فإنه أكبر الذنوب وأعظم موجبات غضب علام الغيوب، وخافوه على أنفسكم فإن الحيي لا تؤمن عليه الفتنة؛ فقد خافه إبراهيم على نفسه وذريته كما قال الله ذلك في قصته التي في سورته: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[(٤)] ومن يأمن على

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٩٦ ـ ٩٨.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

نفسه البلاء بعد إبراهيم؟ كيف لا ونبي الرحمة قد خافه على خير قرون الأمة إذ يقول: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

الأصول الثلاثة الواجب معرفتها بالأدلة

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين وأكمل لنا الدين وأتم علينا به النعمة من بين العالمين، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[1]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرض، أمركم أن تعبدوه مخلصين له الدين، وحذركم أن تكونوا من المشركين: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والأئمة المهديين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله ربكم في سركم وجهركم وخلوتكم واجتماعكم، وفي جميع أموركم وسائر أحوالكم، وارضوا بما رضيه الله لكم تفوزوا بمثوبته وجنته ورضاه، وتجنبوا ما توعد به من أعرض عن ذكره ولم يتبع هداه، فإنه سبحانه قد رَضِيَ لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، ورضي لكم الإسلام ديناً، واختصكم بأن بعث لكم عبده محمداً ﷺ نبيًا رسولاً، فأمركم بتحقيق توحيده وترك ما ضده،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٢.

واختصكم بأكمل شرائع دينه، وبعث لكم أفضل رسله.

أيها المسلمون: تلكم أصول ثلاثة يجب عليكم أن تعرفوها بالأدلة، وأن تعملوا بها لله عن بينة، وأن تجتهدوا في تحقيقها وتكميلها، وأن تحذروا مما ينقصها ويقدح فيها، وأن تجتنبوا كل ما يبطلها ويفسدها وينافيها.

فأصل تلك الأصول معرفة ربكم تبارك وتعالى خالقكم ورازقكم ومتوفيكم ومجازيكم، فإنه الله ربكم الذي رباكم وربى جميع العالمين بنعمه، وعم الجميع بألوان جوده وكرمه، وهو معبودكم فليس لكم معبود بحق سواه ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾[1].

فالواجب عليكم أن توحدوه بأفعاله من الخلق والرزق والملك والتدبير، وأن تثبتوا له ما ثبت في الكتاب والسنة من أسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[2]، فلا شريك له في ربوبيته، ولا ند له في إلاهيته، ولا سمي له ولا كفو في أسمائه وصفاته، ولا يكون في هذا والملك العظيم في علويه وسفليه حركة ولا سكنة إلا وقد أحاط بها علمه ونفذ فيها حكمه، فوجدت بعلمه ومشيئته، وحدثت بإحداثه لكمال قدرته وحكمته، ومَن هذا شأنه فهو المستحق لأن يوحد بأفعال عباده بأن يعبدوه بما شرع وكما شرع؛ فينقادوا له مختارين مستسلمين خاضعين محبين معظمين مجلين، يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

أقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[١].

فيا معشر المسلمين: وحّدوا الله بأقوالكم، وأخلصوا له نياتكم، وانقادوا له بجوارحكم؛ فإن المتفرد بالخلق والإبداع وبتمام الملك وتدبيره على ما هو عليه من العظمة والاتساع هو المستحق لأن يعبد وحده ويطاع، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، فيا ويح الملحدين من الكافرين والمشركين وأهل الابتداع ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٣].

أيها المسلمون: وأما الأصل الثاني من تلك الأصول العظام فهو معرفة دين الإسلام الذي شرعه الله وكمله وأتم به النعمة ورضيه وقال في حق من أعرض عنه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾[٤]. فإن الواجب معرفة هذا الدين بالحجة والبرهان والاستقامة عليه طلباً لرضا الديان وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وهو ثلاث مراتب:

فالأولى: الإسلام، وهو الاستسلام لله وتوحيده، والانقياد له ظاهراً بالأقوال والأعمال وترك الشرك وخصاله بكل حال وذلك بتحقيق الأركان الخمسة؛ وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.
(٢) سورة غافر، الآية: ١٤.
(٣) سورة الحج، الآية: ٦٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

البيت، على الوجه الذي شرعها الله عليه وترك كل ما يضاد ذلك وينافيه.

أما المرتبة الثانية: فهي الاستسلام لله والانقياد له، والإخلاص له باطناً بالإيمان به، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، إيماناً يقتضي تصديق الأخبار، والإذعان للأحكام بامتثال المأمور وترك المحظور، والتسليم للمقدور، والتعلق بالله، وترك الالتفات إلى ما سواه في جميع الأمور، إنابة لله ومحبة له، ورجاء له وخوفاً منه، وتعظيماً له وإجلالاً وخشوعاً، وخشية ورغبة ورهبة.

وأما المرتبة الثالثة: فهي الإحسان، وذلك بالاجتهاد في إيقاع العبادة على أكمل الوجوه وأحسن الأحوال، فتعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، بأن تعبد الله كأنك تشاهده، فإن قصرت عن ذلك فاعلم أنه يراقبك: يسمع أقوالك، ويرى أعمالك، ويعلم حالك، فكن من المحسنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[1].

أيها المؤمنون: وأما الأصل الثالث، وهو معرفة النبي ﷺ، وهو الإيمان بأنه نبي الله حقًّا ورسوله صدقاً، وخاتم النبيين، ورسول الله إلى الثقلين إلى يوم الدين، وتحقيق ذلك بأن يُطاع فيما أمر، ويصدق فيما أخبر، ويجتنب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فمن نقص من ذلك أو زاد عليه فقد جفا وابتدع.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

فيا أيها المغتبطون ببعثة نبيكم محمد ﷺ، الراجون أن تحشروا تحت لوائه، وأن تسعدوا بشفاعته، وأن تدخلوا الجنة في زمرته، اثبتوا في هذه الدنيا على ملته، واستمسكوا بسنته، واهتدوا بهداه، واحذروا من تلبيس من أعرض عن السنة واتبع هواه.

أيها المؤمنون: فهذه الأصول هي تحقيق مدلول الشهادتين والاستقامة على دين رب العالمين، فمن حققها علماً وعملاً واعتقاداً فقد ذاق حلاوة الإيمان، وثبته الله في قبره حين يسأله الملكان، وغفر له ذنبه، ووجبت له الجنة دار التكريم والرضوان. ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً**». وفيه أيضاً عنه ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أنْ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**». وفي الصحيح أيضاً: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه**».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[1].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٧.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

* * * *

نعمة الله على هذه الأمة برسالة النبي ﷺ وما حصل لها به من التفضيل

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله واشكروه على جميع نعمه، واسألوه المزيد من فضله وألوان كرمه، واحذروا معصيته ومخالفته؛ فإنها سبب لمقته وشديد نقمته، واذكروا نعمة الله عليكم إذ هداكم للإسلام وجعلكم من أمة محمد ﷺ؛ فإن الناس كانوا قبل بعثته في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، مشركين بربهم، متوجهين بالعبادة وطلب النفع ودفع الضر إلى من لا يضرهم ولا ينفعهم من الأموات والجمادات والأرواح الغافلات وغير ذلك من أنواع المخلوقات، فصنف منهم معرضون عن رب الأرض والسماوات يتبرك بنوع من الشجر، والآخر ينادي ميتاً في قبر، وثالث يشكو إلى حجر عسر الأمر، ورابع يسجد للشمس والقمر والنجوم، والكل معرض عن ذكر الحي الغني القيوم.

وكانوا في أمورهم العامة في أسوأ حال وأضيق عيش وأشد كرب، يسفكون الدماء عند أتفه الأسباب، ويغتصبون الأموال

ويعدونه أشرف الأكساب، ويتحاكمون إلى الطواغيت، ويستجيرون بالشياطين والعفاريت، وكانت تحكم العالم آنذاك دولتان غاشمتان ظالمتان: دولة الروم النصرانية الضالة، ودولة الفرس المجوسية الظالمة المتجبرة. وكان العالم يعيش في ظلام دامس وجهل خانق، وخرافة متحكمة وبلبلة وفتنة مستحكمة، حتى أذن الله تعالى ـ وله الفضل والمنة ـ ببعثه خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد ﷺ رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين. أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فأنقذ به ـ وله الحمد والشكر ـ من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وعصم به من الردى، وأعز به من الذلة، وأغنى به من القلة، وأخرج به من الظلمات إلى النور، ويسر به الأمور، ولم يزل صلوات الله وسلامه عليه مجتهداً في تبليغ الدين وهداية العالمين وجهاد الكفار والمنافقين حتى أشرقت الأرض بنور الله ابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ورجع الكفر خاسئاً حسيراً أدراجاً، وتحققت منة الله على المؤمنين ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾[1].

أيها المسلمون: حقٌّ على كل مؤمن بالله واليوم الآخر، ويؤمن بالعرض على الله يوم تبلى السرائر، أن يشكر الله على بعثة هذا النبي الكريم والرسول العظيم، وأن يحب الله لما أجزل من نعمه التي لا

---

(١) سورة الجمعة، الآيات: ٢ ـ ٤.

تحصون ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾[١]، وعلامة حب الرحمن اتباعُ النبي الكريم المرسل إلى جميع الإنس والجان؛ فإن ذلك هو الامتحان المنصوص عليه في القرآن ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾[٢].

ولهذا أمر الله المؤمنين باتباعه وطاعته، وحذرهم من مخالفته ومشاقته، وشرع لهم تعزيره وتوقيره وتعظيمه وتكريمه، ورفع له ذكره، وشرح له صدره، وجعل الذلة والصَّغار والخيبة والخسار على من خالف أمره، وأوجب عليهم محبته أعظم من محبة أنفسهم ووالديهم وأولادهم والناس أجمعين، وجعل ذلك من أعظم القرب إليه وأسباب الزلفى لديه يوم الدين.

أيها المؤمنون: لقد رحم الله أمة محمد ﷺ باتباعه رحمة عظيمة، فما جعل الله عليها في دينه حرجاً بل جعل لها فيه عند كل همٍ فرجاً وعند كل ضائقةٍ مخرجاً، ويسَّر لها الأحكام، ونوّع أسباب تكفير الآثام، وضاعف لها على الأعمال الصالحة القليلة الأجور، ولطف بها عند وقوع المقدور، وأعطى نبيها لها أن لا يهلكها بسِنَةٍ عامة وأن لا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسها، ما لم يختلفوا في الدين، ويأخذوا بسنن المغضوب عليهم والضالين؛ فحينئذٍ تحدث الطامة وتقع الفتنة التي تصيب الخاصة والعامة، وأعطى الله هذه الأمة

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٥١، ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

المرحومة شفاعة نبيها في الموحدين بعد الشفاعة التي ينال بها المقام المحمود بين العالمين، وكذلك يشفع النبي ﷺ شفاعة خاصة به للمؤمنين في دخول الجنة، وشفاعة أخرى عامة له ولغيره في رفعة المنزلة وعلو المرتبة داخل الجنة.

وبالجملة فإن هذه الأمة توفى يوم القيامة سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل، وهم أكثر الأمم في الجنة حتى يبلغوا الشطر أو يزيدون، وذلك من فضل الله ورحمته ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

أيها المؤمنون: أدُّوا حقوق نبيكم محمد ﷺ تحظوا بشفاعته وتنالوا من الله كرامته، فمن حقوقه عليكم أن تكثروا عليه من الصلاة والسلام، وهي من أعظم أسباب استجابة الدعاء ورفعة الدرجات وتكفير الآثام، ومن حقه عليكم أن تسألوا الله له الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود بعد كل أذان؛ فإنَّ جزاء ذلك أن تحل عليكم الشفاعة. فبشراكم يا أهل الإيمان.

ومن حقه عليكم أن تتمسكوا بسنته؛ لتأمنوا من الضلالة وتنجوا من الفتنة، وأن تبلغوا دينه؛ لتفوزوا بنضارة الوجه يوم القيامة، وأن تطيعوه في الصغير والكبير قولاً ونيةً وعملاً لعلكم تفلحون ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[2].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٢.

مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله يهدي من يشاء بفضله إلى صراط مستقيم، ويضل من يشاء بعدله عن النهج القويم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحمن الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به، وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعُروة الوثقى، واذكروا ما عهد إليكم نبيكم ﷺ ووصى إذ يقول: «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، وفي رواية: «**وكل ضلالة في النار**». فإياكم والابتداع في الدين، فإنه من عمل المغضوب عليهم والضالين، وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما**

(١) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٦٩.

ليس منه فهو رد».

فالابتداع في الدين مخالفة لنهج النبي الأمين، وأخذ بمسلك المغضوب عليهم والضالين، وموجب لرد العمل وغضب رب العالمين، واعلموا أن من أخطر المبتدعات ما أحدثه بعض المنحرفين من أهل الخرافة والمتصوفة، من الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وإطرائه في هذه الاحتفالات حتى يرفعوه من مرتبة العبودية إلى مرتبة الألوهية، حيث ينسبون إليه شيئاً من خصائص رب الأرض والسماوات، ويضرعون إليه بخالص الدعوات، ويصرفون له شيئاً من أنواع العبادات، ويصفونه بأوصاف لا تتفق مع الوحي المنزل، وليس فيها توقير للنبي المرسل، عليه أكمل الصلاة والتسليم من الله عز وجل.

وكل هذه الأمور يا عباد الله من المحدثات وأنواع الضلالات التي تبدل الدين، وتوجب العقوبة من رب العالمين؛ ولذلك نهى عنها النبي الناصح الأمين، وحذر منها جميع المسلمين، قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وقال: «لَعن الله من آوى محدثاً»، يعني دافع عنه ونصره ووافق على بدعته، وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله».

فهؤلاء الضُلَّال جمعوا بين الضلالتين كما تسمعون منهم هذه الأيام، وفتنوا المسلمين في الدين، وذلك من أعظم الآثام وأشد أنواع الإجرام، وأخذوا بمناهج اليهود والنصارى باحتفالاتهم بأعياد أنبيائهم وعظمائهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم، فصدق عليهم قوله ﷺ:

«لَتَتَّبِعُنَّ سُنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».

فإياكم وما هم عليه من الضلالات وأنواع المبتدعات ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

تفسير سورة الفاتحة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الإله المعبود الحق الذي لا يستحق غيره شيئاً من عبادته والمستعان الذي لا تتحقق عبادته إلا بإعانته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الهادي من اتبعه إلى الصراط المستقيم، والمنذر لمن بلغه من عذاب الجحيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا بكتابه فإنه يهدي للتي هي أقوم وأبقى، وتدبروا آياته تصيبوا من بركاته، وتذكروا به تنتفعوا بعظاته وتفوزوا بهداياته، فاتلوه حق تلاوته، واعملوا به تكونوا من أهل شفاعته؛ فإنه يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة وقائداً لهم إلى دار الكرامة.

عباد الله: إن القرآن هو حبل الله المتين ونوره المبين وصراطه المستقيم، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، ومن تركه من

جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله. فالسعيد في الدارين من اتبع هُداه وأخلص دينه لله، والشقي من أعرض عن ذكره فكفر بمولاه، واتخذ إلهه هواه.

عباد الله: فـ «الحمد» معناه الثناء على الله تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال. والله هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين؛ فالألوهية صفته وهي التفرد المطلق بكل كمال، والتنزه عن صفات النقص والعيب والمثال. والعبودية حقة على عباده في جميع الأحوال.

والـ «رب» هو الخالق الرازق المتصرف المربي لجميع العالمين بأصناف النعم، ولعباده خاصة بالإيمان والتوفيق لخصال الإحسان.

و«العالمين» جمع عالم، وهم أصناف مخلوقات الله في السماوات والأرض والبر والبحر، المتقدم منه والمتأخر، فهي أصناف كل منها قد عمَّه ربه بأنواع من الإحسان والألطاف، وهدى كل نوع منها لما خلقه له بلا اختلاف.

وقد جمع الله تبارك وتعالى معاني القرآن كلها في سورة الفاتحة التي سُميت بذلك لأنه افتتح بها؛ فهي بابه والمدخل إليه، وتسمى بأم الكتاب لاشتمالها على مقاصده ومعانيه، وهي السبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى، أي تكرر، فتقرأ وجوباً في كل ركعة من ركعات الصلاة، وهي الرقية لما فيها من شفاء أمراض القلوب والأبدان، والحمد لأنها مفتتحة به، وهو الثناء على الله بالألوهية والربوبية والرحمة وأنه الملك الديان، فهذه الأسماء دالة على صفات الكمال ونعوت الجلال، ومَن هذا شأنه فإنه هو الإله الحق الذي ينبغي أن

يخلص له العباد في جميع عباداتهم في سائر الأحوال، وأن ينزهوه عن الند والشرك والسمي والمثال، فإنه تعالى لا إله غيره كما أنه خالق ولا رب سواه.

معشر المسلمين: لقد اشتمل القرآن على الدعوة إلى التوحيد، وذكر حقيقته وفضائله، والنهي عن الشرك وبيان شعبه وغوائله، والترغيب في التوبة إلى الله من الشرك وما دونه، ووعد التائبين بحسن المثوبة وعظيم الكرامة، وتوعد المصرين والمعاندين بأليم العقوبة والحسرة والندامة يوم القيامة. وفيه الحث على إخلاص العبادة لله؛ التي تزكو بها النفوس، وتحيا بها القلوب، وتقوى معها الرهبة والخشية من علام الغيوب، وفيه بيان سبيل السعادة، الموصل إلى النعيم المقيم ورضوان الرب العظيم في الدارين، وذكر الأخبار والقصص عن المهتدين الذين أطاعوا مولاهم؛ فزادهم هدى، وآتاهم تقواهم، ونصرهم في الحياة الدنيا والآخرة، وأكرم مثواهم، وسوء عاقبة الذين أساؤوا واتبعوا أهواءهم وكيف وثقوا في الدنيا وكانت النار مثواهم.

فـ «إياك نعبد»، أي تفرد يا ربنا بالقصد في عباداتنا كلها.

«وإياك نستعين» أي نطلب إعانتك على طاعتك وعلى أمورنا كلها، والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، وحسن العاقبة في جميع الأمور، والنجاة في الدارين من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، ولا وصول إلى الجنة وما فيها من النعيم المقيم ورضوان الرب العظيم إلا بالجمع بينهما، والعبد مضطر إلى توفيق الله له أن يعبده بما شرع، وأن يجنبه الشرك

والبدع، وهذا يحتاج إلى هداية إلى العلم النافع والعمل الصالح، وهو طريق الهدى الذي سلكه لمن أنعم الله عليهم واصطفى، ولهذا اختتمت هذه السورة بصدق الضراعة إلى الله بسؤال الهدى.

و«اهدنا الصراط المستقيم» أي طريق من أنعمت عليهم بالعلم والعمل، وعصمتهم من الضلال والزلل؛ كاليهود الذين ضلوا قصداً عن سواء السبيل، والنصارى الذين يتعبدون على غير هدى ودليل، ولذا قال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

أيها المؤمنون: وأما و«الرحمن الرحيم» اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة والنعمة السابغة؛ فرحمته وسعت كل شيء، ونعمته عمت كل حي، فهو رحمان بخلقه في الدنيا عامة، ورحيم في الدنيا والآخرة بالمؤمنين خاصة.

وأما «مالك يوم الدين» فالمراد به مالك يوم القيامة، يوم الحساب، هو يوم الثواب والعقاب، يجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ومن هذا شأنه فهو المستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة؛ وهي غاية الحب مع غاية الذل والخضوع، وبالاستعانة به وحده وهي الاعتماد على الله وحده؛ اعتماداً عليه في جلب المنافع ودفع المضار، وثقة به فإنه الواحد القهار، مع غاية الرغبة والاضطرار إليه وكمال الانكسار. فلا تحصيل للمقصود إلا بإخلاص للمعبود.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

تفسير سورة الأعلى

الحمد لله الذي خلق الجن والإنس ليعبدوه، وركب فيهم العقول ليعرفوه، وبعث إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ليطيعوه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فاعبدوه وارجوه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أوصى أمته بأن يخافوا ربهم ويتقوه. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١).

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق تقاته، وتدبروا ما أنزل إليكم من حكمه وآياته؛ فإن الله تعالى لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل خلقكم لمعرفته وعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته، أوجب ذلك عليكم في خاصة أنفسكم، وأمركم أن تأمروا به وتجاهدوا عليه أهلكم وأولادكم، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾(٢)، ووعد سبحانه المؤمنين الصالحين من الآباء والأبناء بأن يجمعهم في الجنة دار النعيم والتكريم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾[(١)]، وقال جل ذكره: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[(٢)]، فأطيعوا الله فيما أمركم من التوحيد والاستقامة ينجز لكم ما وعدكم من النزل والكرامة.

عباد الله: كان من هدي نبيكم محمد ﷺ أنه يستحب قراءة سور المسبحات، وخاصة سورة «سبح اسم ربك الأعلى»، في المجامع العظام كالجمعة والعيد؛ وهما من شعائر الإسلام وذلك لما اشتملت عليه من جلي الحكم والأحكام؛ والمواعظ العظام، والتذكرة لأهل الإسلام بجليل الإنعام، وحقوق الملك القدوس السلام.

وسورة الأعلى افتتحت بقول الله جل وعلا: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾﴾[(٣)]، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**». وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أن«**من سبح الله في يوم مائة تسبيحة كتبت عنه ألف حسنة وحط عنه ألف خطيئة**». وأخبر ﷺ أن التسبيح يقوم مقام الصدقة بالمال، وخاصة الفقراء الذين لا مال لهم فقال: «**إن بكل تسبيحة صدقة**»، وأخبر أن التسبيح والتكبير والتحميد دبر الصلوات مما يلحق به الفقراء من قصَّر فيه أو جهله من أهل الصدقات، وأن التسبيح عند النوم يخفف الآلام ويلطف المشاق

---

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.
(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ١.

العظام، كما أرشد ﷺ فاطمة وعليًّا رضي الله عنهما أن يقولا ذلك عند النوم، وقال: «هو خير لكما من خادم». فهن كلمات يسيرة وأجورهن كثيرة، ولكن لا يقولهن إلا قليل من القوم؛ لأن الشيطان يأتي أحدهم فيلقي عليه النوم.

أيها المسلمون: ولما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾، قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم**»، وكان ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي**»، يتأول القرآن؛ أي يفعل ما أمر به من الرحمن.

أيها المسلمون: وأما قوله سبحانه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾[١] أي الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم واختصه بما فضله به على غيره من التكريم، وأعظم ذلك أن هداه إلى الدين القويم، وأرشده إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى رضوانه وجنات النعيم، وهو سبحانه أيضاً خلق المخلوقات كلها في غاية من الإتقان والإحسان، صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[٢]، أي خلق كل شيء بمقادير مضبوطة ولحكم محكمة، فقدر سبحانه تقديراً تتبعه جميع المقدرات، وهدى إلى ذلك جميع المخلوقات، وتلك هداية عامة مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر العباد بجلائل نعمته، وعموم فضله، وواسع رحمته.

ومن ذلك أنه ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤﴾[٣] أي بما أنزل من السماء

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ٢.
(٢) سورة الأعلى، الآية: ٣.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ٤.

من ماء رزقاً لسائر الأحياء، فأنبت به أصناف النباتات، وأخرج به من كل الثمرات، فرتع فيه الناس والبهائم وجميع الحيوانات، فكان ذلك من سابغ الفضل وآية على البعث بعد الممات، فالذي أخرج المرعى ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب النمو والاستواء يسر له من الأسباب ما ألوى نباته ووضح عشبه ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾[(١)]، أي قد اسود فأصبح هشيماً تذروه الرياح؛ وكان الله على كل شيءٍ مقتدراً، وهكذا دنيا الناس عمرها معهم وعمرهم فيها عمر هذا النبات، فما تكاد تجتمع وتحلو فيها المتعة إلا وقد صارت إلى شتات، وكم في ذلك من بليغ العبر والعظات.

أيها المسلمون: ومن نعم الله الدينية على رسوله ونبيه والمؤمنين به من هذه الأمة المحمدية ما أشار إليه بقوله: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾[(٢)]، أي سنحفظ ما أوحينا إليك من هذا الكتاب ونوعيه قلبك على أميتك فلا تنسى منه شيئاً؛ فبشره الله بأنه سيعلمه علماً لا ينساه، وكان ﷺ في أول الوحي إذا قرأ عليه جبريل عليه السلام الوحي يحرك شفتيه فيقرأ مع جبريل خشية النسيان، فقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾[(٣)]، فأوحى له تعالى أن يستمع وينصت لجبريل حين يتلو عليه الوحي، ووعده أن يجمعه له في صدره ثم يقرأه فلا ينسى منه شيئاً، وقد صدق سبحانه عبده وأنجز وعده.

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ٥.
(٢) سورة الأعلى، الآية: ٦.
(٣) سورة القيامة، الآيات: ١٦ ـ ١٩.

وأما قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝٧﴾[(١)]، فالمعنى أنك لا تنسى إلا ما اقتضت حكمة الله أن ينسيك إياه لمصلحة وحكمة بالغة؛ لكون هذا الشيء منسوخاً أو مبدلاً بخير منه، كما قال سبحانه: ﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[(٢)].

وفي ضمن ذلك تعليم لكل مسلم أن لا يعد بشيء مستقبلاً إلا معلقاً بالمشيئة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[(٣)]، وهو سبحانه يعلم ما يصلح عباده، وقد هداهم لما فيه صلاحهم وفلاحهم في معاشهم ومعادهم، ويعلم لذلك سرائرهم وعلانيتهم، وما انطوت عليه ضمائرهم، وفي ذلك حث على سلامة الصدور، وإخلاص النية والنصح للعباد في جميع الأمور.

وأما قوله سبحانه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾[(٤)]، فهذه بشارة أخرى أن الله تعالى ييسر رسوله ﷺ لليسرى في جميع أموره، ويجعل دينه وشرعه سمحاً ميسراً، وقد وفَّى تبارك وتعالى بذلك فشرع للمسلم الصلاة قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب، فإن لم يستطع فيومىء برأسه إيماءً، وشرع الصيام للصحيح المقيم القادر، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر، ومن لم يستطع الصيام لكبر أو مرض لا يرجى برؤه فيطعم عن كل يوم مسكيناً،

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٤) سورة الأعلى، الآية: ٨.

وشرع الله التيمم لمن لم يجد ما يتطهر به أو عجز عن استعماله، فإن لم يستطع صلى على حسب حاله، وهكذا كل دين الله ميسر ليس فيه عسر ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[3].

فاشكروا الله على أن خلقكم في أحسن تقويم، وأرسل لكم خير خلقه محمداً النبي الكريم، وهداكم إلى الصراط المستقيم والدين القويم، ووعدكم على ذلك جنات النعيم ورضوانه، وهو الرب الكريم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة النساء، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.

العبـــادة

الحمد لله الذي خلق الجن والإنس ليعبدوه، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة وسائر النعم ليشكروه، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ليتقوه، أحمده سبحانه، شرع لكم الدين لتستقيموا عليه متحابين متقربين إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وإله الأولين والآخرين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والأئمة المهديين، الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى، وتذكروا أن الله تعالى قد خلقكم لعبادته، وأمركم بطاعته، وأسبغ عليكم النعم لتستعينوا بها على أداء حقه وتحسنوا بها إلى خلقه؛ فحققوا الحكمة التي من أجلها خلقتم، وقوموا بالوظيفة التي بها أمرتم، واسعوا إلى الغاية التي لها دُعيتم، ينجز لكم ربكم وعده، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[1]، وقال تعالى:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾[1].

عباد الله: إن عبادة الله تعالى هي تحقيق طاعته، وهي السبيل إلى بلوغ كرامته، والنجاة من عقوبته ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾[2].

وتحقيق العبادة إنما يكون بالاستقامة على دين الله، والإخلاص له فيما شرع، ولزوم سنة نبيه ﷺ، وترك الشرك والأهواء والبدع، وعن ذلك يسأل الأولون والآخرون؛ فإن الأموات يسألون في قبورهم بعد انصراف مشيعيهم فيقال لأحدهم: من ربك؟ وهذا سؤال عن التوحيد لله والإخلاص له في العبادة في النية، وما دينك؟ وهو سؤال عن الاستقامة على دين الإسلام الذي رضيه الله قولاً وعملاً. ومن نبيك؟ وهو سؤال عن اتباع النبي ﷺ وترك ما خالف سنته في كيفية الأداء. وإذا جمع الله الأولين والآخرين في موقف يسمعهم الداع وينفذهم البصر، سئلوا جميعاً: ماذا كنتم تعبدون؟ ماذا كنتم تعملون؟ ماذا أجبتم المرسلين؟ فيسألون عن الإخلاص في العبادة والاستقامة على الديانة واتباعهم للرسالة.

فاتقوا الله عباد الله، وأعدوا للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً قبل أن يقول قائل: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ۝٤٢﴾[3]، ﴿يَٰلَيْتَنِي

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.
(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٢.

ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[1]، ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾[2].

أيها المسلمون: إن الفرصة محدودة، وإن المهلة منتهية، وإن كل موعد قريب، ولكن العبد إذا استقام على دين الله تعالى كما أمر، وأخلص لله عز وجل فيما يأتي وما يذر، وأدى عبادته لربه جل وعلا على الوجه المأثور عن سيد البشر، بارك الله له في عمره وعمله، فصار اليسير من عمله كثيراً، والصغير كبيراً، وجزاه الله تعالى على الخير جزاءً موفوراً، وغفر له ذنبه وستر عيبه، فإن الله تعالى يجزي المحسن بأحسن عمله، ويجزيه بالحسنة عشرة أمثالها، ويزيده من فضله ثواباً كريماً على غير عمل، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[3]، وقال جل ذكره: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[4].

وقال تبارك اسمه: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان: ٢٧، ٢٨.
(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٣٧، ٣٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٨.

أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[٢].

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واغتنموا لحظاتكم وأعماركم في العمل الصالح، وترك المعاصي، والتوبة إلى الله من القبائح، وتقربوا إلى الله تعالى بفعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وجه الإخلاص والإجلال للمولى، وعلى الصفة المأثورة عن الرسول المجتبى؛ طمعاً في النجاة من العذاب، والفوز بكريم الثواب، والرزق بغير حساب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٩.

(٣) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٦٩.

التوكل على الله وفعل الأسباب

الحمد لله الذي بيده الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، أحمده سبحانه، هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مواقيت الأعمار ومقادير الأمور.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، العبد الشكور، والداعي إلى كل علم نافع وعمل صالح مبرور.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا ربكم، وأخلصوا له دينكم، واشتغلوا فيما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم، ولا تعطلوا فرائض الله، ولا تهتكوا محارم الله، ولا تحتالوا على الله، بل اعبدوه واشكروه واذكروه، وخذوا حذركم.

عباد الله: ثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا**

كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان».

فهذا الحديث يا عباد الله من جوامع الكلم ومهمات الحكم؛ فهو بمثابة الموعظة الفصيحة والنصيحة الصحيحة من أنصح الخلق لأهل الحق محمد عبد الله ورسوله، أرشد فيه خاصة أهل الإيمان وعامة بني الإنسان إلى ما يصلح أمر معاشهم ومعادهم. أخبر فيه ﷺ أن القوة في سبيل الحق والعدل، كما أنها محبوبة طبعاً فهي مطلوبة شرعاً، وهي شاملة للقوة في أمر الدين وأمور الدنيا، لكون القوي يقوم بأعماله بجد وعزم ويستكمل ما استطاع من أسباب الحزم، ولذا قال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله...**».

فتلك كلمات من أجمع الكلمات وأبلغ العظات، فيها إرشاد للعاقل أن يحرص على ما ينفعه في أمر دينه ودنياه وحياته وأخراه، فمتى احتاج إلى علاج لمرض في بدنه يغلب على الظن أنه يزيل ضرره ويدفع خطره، بادر إلى الأخذ به كما جاء عنه ﷺ قوله: «**ما نزل من داء إلا وله دواء، علمه من علمه وجهله من جهله، فتداووا يا عباد الله، ولا تتداووا بحرام**»، فيأخذ بالدواء الكريه المرِّ يرجو الله أن يكشف به الضر.

وكما يحرص العاقل على علاج بدنه، فالمؤمن يحرص على علاج قلبه من سقمه وقطع أسباب درنه؛ فيداوي قسوته بتلاوة كلام الله، والإكثار من ذكره، والتفكر في آلائه، ومجالسة من يذكره به، ويعينه على طاعته؛ فإن قسوة القلوب من صدأ وران الذنوب، فإذا لم

تعالج صارت بعيدة من الله محجوبة عنه، وما عُذِّب معذَّب بأشد من الحجاب عن الله، مع أن القلوب القاسية التي لم تعالج قساوتها بما يلينها وينير بصيرتها متوعدة بالنار المؤصدة، التي تطلع على الأفئدة، فصدأ القلوب إذا لم يُجلَ بذكر الله كان عرضة لأن يجلى بلهب نار جهنم التي تذيب الحجارة.

أيها المسلمون: وأعظم ما ينفع وينبغي الحرص عليه والقوة فيه أداءُ الفرائض؛ فإن سعادة الحياة والممات في الأعمال الصالحات التي تصلح القلوب وتقي الذنوب، وتدفع بها العقوبات عن الأفراد والشعوب، وهي أسباب كثرة الخيرات وحلول البركات، وحفظ النعم وضمان استقرارها وزيادتها في سائر الأوقات، يقول سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[2]، ومن دعاء النبي ﷺ قوله: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وآخرتي التي إليها معادي**».

وقد مدح الله الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[3]، وأثنى على الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، ويسر الأحكام وعظم الأجور للذين يأخذون بأسباب الرزق الحلال، ويتقون ربهم في سائر الأحوال،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

ويواسون عباد الله بفضل ما عندهم من النوال.

فينبغي للعبد أن يتحرى القوة في كل عمل يزاوله من أعمال الدنيا والآخرة، ومما يدخل في ذلك تحري أفضل العمل وأداؤه على الوجه الأحسن والأكمل، والإخلاص فيه، وسلامته من الغش والزلل.

أيها المسلمون: وأضر ما ابتلي به بعض الخلق العجز والكسل عن طلب الرزق والتماس الحق. فينبغي للعاقل الحرص على تحصيل ما يعود عليه نفعه، والسعي في صد ما يضره ودفعه، وأن يحذر العجز؛ فإن نتيجته الحرمان، ومن أهان بذلك نفسه فهو حري أن يهان، ولكن بعض الناس يجعلون عجزهم توكلاً، وفجورهم قضاءً وقدراً، فتجد من هؤلاء من يطعن في الأسباب أو يعرض عن الأخذ بها، شأن أهل الشك والارتياب، والطعن في الأسباب قدح في الشرع، وتعطيلها مع العلم بنفعها نقص في العقل.

ومن هؤلاء من يترك عبادة ربه ويحتج بالقدر ويجادل، وهو من العقوبة على خطر، فإذا نصحت أحدهم عن التخلف عن الصلوات أو اقتراف بعض المنكرات اعتذر إليك بقوله: هذا مكتوب عليَّ، أو هذا قضاء وقدر، فهو عند الطاعات قدري وعند الشهوات جبري، وهذا نظير ما حكىٰ الله عن المشركين بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾[1].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٥.

أما أهل الإيمان فإنهم يأخذون بكل عمل صالح، ويتوبون إلى الله من القبائح، ويؤمنون بالقضاء والقدر، ويعالجون القدر بالقدر، فيدافعون قدر المرض بقدر الدواء، كما يدافعون قدر الظمأ بقدر الشرب، وقدر الجوع بقدر الشبع، وهكذا يدافعون قدر الهوى بقدر التقوى، وقدر الكسل بقدر العمل، وقدر الجهل بقدر العلم، وهكذا.

فأولو النهى يأخذون أمورهم بالحذر والحزم وفعل أولي العزم، ومتى غلبهم ما لا يطيقون دفعه ولا رفعه قالوا: قدر الله وما شاء فعل؛ ليسلوا بذلك أنفسهم، ويبرأوا من القوة والحول إلا بالله ذي الطول. فإن العمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح والحركة، والإنسان مأمور بالأسباب مع التوكل على رب الأرباب، قال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[2].

فالاعتماد على الأسباب نقص في الإيمان بالله، وتعاطي الأسباب لا ينافي التوكل على الله؛ فإن التوكل إنما يكون مع الأخذ بالأسباب وهو أقواها وأعظمها أثراً، وإن ترك الأسباب بدعوى التوكل لا يكون إلا عن جهل بالشرع أو فساد في العقل. وقد سُئل النبي ﷺ عما يُتقى به المرض من حمية وعلاج هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله». وروي عنه ﷺ أنه قال: «بادروا بالصدقة

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.
(٢) سورة الملك، الآية: ١٥.

فإن البلاء لا يتخطاها»، وروي عنه قوله: «حصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع»، وأخبر أن الدعاء والبلاء يعتلجان بين السماء والأرض حتى يدفع الدعاءُ البلاءَ.

فاتقوا الله عباد الله، وحققوا التوكل بصالح النية وصادق العمل وكمال الثقة بالله عز وجل وتعاطي الأسباب المشروعة، وهجر الوسائل الممنوعة؛ خذوا ما حل ودعوا ما حرم، واجتهدوا في صالح العمل، وتوبوا من التقصير والزلل، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين والمسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٢.

الأمر بتقوى الله وصدق التوبة إليه

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أحمده سبحانه حمداً لا نعده ولا نحصيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جامع الناس ليوم لا ريب فيه.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله والشفيع في موقف القيامة بين يديه.
صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى جميع آله وأصحابه وحوارييه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وسارعوا في مرضاته واحذروه، وتوبوا إليه من تقصيركم في حقه واستغفروه، فإنه سبحانه شديد العقاب غفور رحيم، قد أحاط بكل شيءٍ علماً، ووسع كل شيءٍ عزةً وحكماً.

عباد الله: إن دنياكم هذه مشوبة بالأكدار ومحاطة بالأخطار، ومليئة بالأضرار، يتعرض فيها العبد غالباً لما يؤذيه، ويأتيه الشر من أقرب شيء إليه، وما يصيب العباد فيها من ذلك، فالغالب أنه من قِبَلِ أنفسهم ليكون ذلك موعظة وعبرة لهم، وقد يكون تخفيفاً ورحمة من الله تعالى بهم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾[٣].

ولذا كان لزاماً على العاقل أن يتقي شر ما في دنياه وما كسبت يداه، وذلك بلزوم التقوى واتباع الهدى وترك الإعراض، وإيثار الهوى، وتخليص الإيمان وتنقيته من الشرك حتى تتحقق له النجاة وتطيب له الحياة ويتمتع بالأمن والهداية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[٦]، وقال تبارك اسمه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٧].

وقال عز من قائل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ٦١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٨.
(٥) سورة طه، الآية: ١٢٣.
(٦) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [(١)]، وقال جل ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[(٢)].

أيها المسلمون: إن تقوى الله تعالى هي العمل بطاعته على نور منه رجاء ثوابه، وترك معصيته على نور منه خشية عقابه، وهي من أعظم أسباب تفريج الرزق ويسر الأمور وعظيم الأجور؛ فإنها الخصلة التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثبت إلا عليها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[(٣)]، وقال سبحانه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾[(٤)]، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾[(٥)].

فتقوى الله تعالى جماع كل خير، ورأس كل أمر، وأصل كل بر، وحرز من كل شر، فإن من اتقى الله وقاه، وكان في معيته ما اتقاه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[(٦)]، ولهذا وصى الله تعالى بها الأولين والآخرين، وجعلها زبدة ورسالة المرسلين إلى جميع العالمين، والحكمة من إنزال الكتاب المبين.

أوصى أحد السلف الصالح أخاه فقال: أوصيك ونفسي بتقوى الله؛ فإنها خير زاد في الآخرة والأولى، فاجعلها إلى كل خير سبيلك، ومن كل شر مهربك؛ فقد تكفل الله لأهلها بالنجاة مما

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٥) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(٦) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون.

وقال آخر: أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيبك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخَف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك، والسلام.

أيها المسلمون: ولما كان العبد مأموراً بالتقوى في السر والعلانية، وهو محل للتفريط لظلمه وجهله، فقد يترك بعض المأمورات، أو يرتكب بعض المنهيات، كان لابد له من التوبة والاستغفار، والحذر من التسويف والإصرار، ليرقع ما انخرق من تقواه، وليحذر شؤم معصيته لخالقه ومولاه، فإن العبد إذا لم يتب إلى ربه أصيب بشؤم ذنبه، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا حلت مصيبة إلا بخطيئة، وما اختلج عرق في بدن إلا بإثم ظهر أو بطن، وما حيل بين الإنسان وبين رزق إلا بمعصية لله تعالى في حقه أو في حق أحد من خلقه من قريب أو بعيد، والتوبة تمحى بها الذنوب، وتكفر بها الخطايا، وتستدفع بها المصائب والبلايا باتفاق، وتستدر بها الأرزاق، وهي ستر من النار باتفاق، كيف لا والتوبة من أعظم الحسنات، وأشرف الطاعات، فإن التوبة من أجل الحسنات الماحيات وأشرف الطاعات المنجيات؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1]، وقال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»، يعني إذا أسأت فأحسن.

وقد أثنى الله تعالى على ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[(١)]، وجازاهم بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[(٢)]، ذلكم يا عباد الله لأن المؤمن مفتَن تواب، فكلما أذنب تاب، ومن تاب تاب الله عليه، ومن أحسن أحسن الله إليه، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[(٣)]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[(٤)].

فيا أيها المؤمنون: اتقوا ربكم ومولاكم، وتوبوا إليه جميعاً توبة نصوحاً من سيئاتكم وخطاياكم، فمن تاب من ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه، إن الله غفور رحيم، ومن أصر على ذنبه فإنما يجني على نفسه ويعاند ربه، وهذا على خطر من العقوبة المعجلة والمؤجلة؛ فإن من اقترف شيئاً من كبائر الذنوب فعوقب به في الدنيا عقوبة شرعية؛ بحدٍ أو تعزيرٍ، أو مصيبة قدرية؛ ببلية في بدنه أو نفسه أو ماله أو ولده أو غير ذلك، فهو كفارة وطهور، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[(٥)].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٥) سورة الطلاق، الآية: ٥٣.

التقوى.. حقيقتها وفضلها

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله حق التقوى، فإن حق التقوى: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وقد قال تعالى منبهاً على فوائد التقوى وجميل عوائدها على أهلها في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾[3] وقد ضمن تبارك وتعالى للمتقين النجاة من النار والفوز بجنات تجري من تحتها الأنهار؛ نزلاً من عند الله، وما عند الله خيرٌ للأبرار.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.

عباد الله: ولما كانت التقوى بهذه المثابة أمر بها تبارك وتعالى نبيه ﷺ وأزواجه وأصحابه، بل وأمر بها جميع الناس وحثهم على التزين بها؛ فإنها خيرُ لباس، بل نبه سبحانه وتعالى على أنها زبدة رسالة المرسلين، ووصيته للأولين والآخرين، وخير ما تزود به العبد لحجه وغيره من العبادات، وتجمل به لربه في سائر الأوقات، وكان النبي ﷺ يوصي بها الصغير والكبير والأمير والمأمور، في الحضر وعند السفر، ويخبره أن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وأنه ﷺ أخشى الناس لله وأتقاهم، وكفى بذلك تنبيهاً على منزلة التقوى وتذكيراً بها لأولي النهى.

عباد الله: لكل شيء حقيقة، وحقيقة التقوى التحرز بطاعة الله عن معصيته، وكف الأذى عن الخلق، والإحسان إليهم على وفق الشرع ابتغاء وجه الحق. فالتقوى فعل المأمور، وترك المحظور، والرضا بالمقدور على وجه الرغبة والرهبة. ولذا عرفها أحد السلف بقوله: «التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عذاب الله»، وقال آخر: «هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

وبكل حال: فإن من عظمت خشية الله في قلبه وأيقن بموقفه غداً بين يدي ربه خاف يوم الحساب، فلزم طاعة ربه وأناب، واعتذر إليه من التقصير في حقه، فاستغفر وتاب، ومن قل حظه من التقوى، أو انتفى اتبع الهوى؛ فضل وطغى، وآثر الحياة الدنيا ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[1] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾[(١)] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[(٢)].

أيها المسلمون: وكما أمر الله تعالى بالتقوى، فقد مدح المتقين وأثنى عليهم بحسن الأفعال والأقوال وكريم الخصال، ورتب سبحانه على التخلق بها والتحقق بها: نيل المسرات، والفوز بالخيرات، والوقاية من المكروهات، والنجاة من المهلكات؛ مما يدل على أن التقوى خلقٌ جميلٌ، وعملٌ جليلٌ مبنيان على إخلاص النيات لله تعالى وحسن الأسوة بالمصطفى ﷺ، فإن التقوى الكاملة فعل الواجبات وتكميلها بالنوافل المستحبات، وترك المحرمات والاحتياط لها بانتفاء الشبهات.

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: تمام التقوى أن يتقي العبد ربه حتى يتقيه من مثقال الذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، وحتى يكون حجاباً بينه وبين الحرام. فإن الله تعالى قد بين للعباد يبصرهم إليه فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[(٣)] فلا تحقرن

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٧، ٤١.
(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

شيئاً من الخير أن تفعله ولا شيئاً من الشر أن تتقيه.

فاتقوا الله عباد الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋ ❋

من خصال التقوى وصفة أهلها

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، المعروف بالجود العميم والفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل شهر رمضان موسماً من مواسم المنافسة في جلائل الطاعات، والتخلص من شؤم الذنوب والسيئات، ففيه تفتح أبواب الجنة، وتتيسر أسباب الرحمة، وفيه تُغلق أبواب الجحيم، ويصفد كل شيطان رجيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الصائمين، وأشرف القائمين، وأجود المنفقين، وأخشاهم جميعاً، وأتقاهم لرب العالمين.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الموصوفين، بقول الحق المبين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾[1].

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله؛ فإن تقوى الله لكم خير زاد وأجمل لباس، ولذا كانت وصية الله لجميع الناس. ذلكم لأن التقي يتحلى بكمال الإخلاص لله عز وجل، وحسن الاقتداء بالنبي ﷺ، فإنه الإمام المكمل في كل عمل؛ لذا تجدون التقي من عباد الله صالح النية،

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٧ ـ ١٩.

كريم السجية، طيب القول، حسن العمل، يعبد ربه وكأنه يراه، ويراقبه مراقبة من يوقن أن الله مطلع على سره ونجواه، ويعتقد أنه مهما طالت أيامه فإنه ميت وراجع إليه، وأنه يوم القيامة معروض عليه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى ۝٣١﴾[1].

أيها المؤمنون: فالتقي المحسن ينتظر من الله تعالى العاقبة الحسنى، والكرم في الجزاء والزيادة من فضل المولى، فالجنة مضمونة للمتقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾[2]، والجزاء من الله تعالى على أحسن الأعمال، لا على أوساطها، ولا على أدناها، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٢١﴾[3]، ثم الجزاء من الله تعالى على أحسن الأعمال مضاعفاً، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[4]، وفي الحديث الصحيح: «**الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة**».

ثم بعد ذلك يزيد الله العامل ثواباً فوق عمله، بل من كرمه وجوده، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾[5]، وقال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾[6].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣١.
(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢١.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٨.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٠.

عباد الله: وأعظم ما يزيد الله أهل الإيمان والتقوى من كرمه وجوده أن يبيحهم النظر إليه يوم القيامة في عرصات القيامة، وفي الجنة، وهو أعظم نعيم الجنة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1]، وهو الزيادة التي أشار إليها الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[2]، وفوق ذلك رضاه سبحانه عنهم، فلا يسخط عليهم بعده أبداً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[3].

فيا أيها الذين آمنوا! اتقوا الله، وحققوا تقواه؛ بالتنافس في كل ما يحبه الله ويرضاه، فقد فاز المتقون بكل خير في الدنيا والأخرى، وحسبهم أن الله شهد لهم بولاية الله ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[4].

عباد الله: من براهين التقوى وعاجل البشرى دوام إقامة الصلاة ظاهراً؛ بإتمام شرائطها، والإتيان بواجباتها، وتحقيق أركانها، وتكميلها بسننها المزينة لها، وأداؤها من الرجال في المساجد مع جماعة المسلمين. وباطناً بحضور القلب وخشوعه واشتغاله بذكر الله

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٤) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.

تعالى، وتلذذه بمناجاته وإقباله على ربه بجميعه، فذلك آية الصلاح وسبب الفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾[(١)].

معشر المؤمنين: ومما وصف الله به أهل التقوى وضمن لهم به المغفرة والفوز من الجنة بالدرجات العُلى، ما أشار إليه جل شأنه بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾[(٢)]، فوصفهم الله بكل إحسان قولي وفعلي وحالي، ومن ذلك أنهم ينفقون ابتغاء وجه الله تعالى، وطمعاً في كريم ثوابه في حال عسرهم ويسرهم، فإن أيسروا أكثروا من النفقة الواجبة والمستحبة، وإن أُعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً وإن قلَّ؛ فإن أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى من القلب، ولو كان جهد المقل.

وأنتم يا أهل الإيمان اليوم في شهر الإحسان. والصدقة من أعظم موجبات الرضوان من الرحمن والفوز بعلى الجنات، فاغتنموا هذا الموسم في أداء الزكاة، وكملوا ذلك بكثير الصدقات، فإن الله تعالى أوجب الزكاة في أموال الأغنياء تصديقاً لإيمانهم، وتكميلاً

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

لدينهم، وتنمية لأموالهم وأخلاقهم، ودفعاً للآفات عنهم وعن أموالهم، وتطهيراً لهم من السيئات، ومواساة لفقرائهم ومحاويجهم، وحفظاً لمصالحهم الكلية، وهي مع ذلك جزء يسير من المال. فالله تعالى قد أعطاكم الكثير وتطلَّب منكم اليسير، وما نقصت صدقة من مال، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

في التذكـــير

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعــد:

فيا عباد الله: اتقوا الله والزموا سنة نبيكم ﷺ تهتدوا، وأخلصوا لله تعالى نياتكم تربحوا، واستبقوا الخيرات وابتعدوا عن المنكرات، وتوبوا إلى ربكم من قريب عما أزلفتم من السيئات، تفوزوا بمغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض، وتُزَحْزَحُوا عن النار يوم العرض.

عباد الله: جاهدوا أنفسكم على أداء الواجبات، وترك المحرمات، والبُعد عن المنكرات، ولزوم التوبة والاستغفار من السيئات، والتقصير في سائر الأوقات، تحشروا إلى الله تعالى في صف المهديين المحسنين، وتأمنوا مما توعد الله به الغافلين الهالكين؛ فإن مجاهدة النفس برهان الاجتباء، وصفة خاصة الأولياء.

يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ

جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ ﴾(١)، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾(٢)، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله» رواه أحمد.

أيها المسلمون: ثبت في صحيح مسلم رحمه الله، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**» الحديث، وفيه: «**يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**».

وفيه أيضاً: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**». وقال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**» الحديث رواه مسلم. وقال ﷺ: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**».

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟**» وقال ﷺ: «**عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ عنك بها خطيئة**» رواه مسلم.

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٧٧، ٧٨.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

أيها المسلمون: إن العبد إذا جاهد نفسه على طاعة ربه، وكفَّها عن معصيته، وألزمها التوبة من التقصير في حقه، وصبر على ذلك ابتغاء مرضاته؛ رغبة في الثواب، وخوفاً من العقاب، وتعظيماً لله وإجلالاً، انقادت نفسه لذلك شيئاً فشيئاً حتى تألف الطاعة، وتتلذذ بالعبادة، وتتذوق حلاوة الإيمان، وتصبح المعاصي والمخالفات من أكره الأشياء إليها، فإن الله تعالى إذا علم من عبده حسن النية وصدق القول، والرغبة في الخير، ومحبة القيام بما أوجب الله عليه، وظهر ذلك على جوارحه، أعانه الله وسدده، وهيأ له أسباب الهداية، وفتح له خزائن الخير، وحفظه في سمعه وبصره وسائر أعضائه، فبارك له فيها وأعاذه من شرها.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾[1]، وبذلك تصبح النفس مطمئنة مبشرة بحسن الخاتمة، وهي على ظهر الأرض، يقال لها عند الموت: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾[2].

فعليكم عباد الله بالحرص على الطاعات كلها، والإخلاص لله تعالى فيها وحسن أدائها. واحذروا المنهيات جميعها صغيرها وكبيرها، وما تقرب عبد إلى ربه تعالى بأحب مما افترض عليه، ولا يزال العبد يتقرب إلى ربه بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه، ويقبل

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.

عليه، ويحفظه في سمعه وبصره وجوارحه، ويمن عليه باستعمالها فيما يرضيه، ويستجيب دعاءه، ويعيذه مما يؤذيه.

فأدُّوا عباد الله فرائض الطاعات، وكملوها بما شرع الله وحسنها من النوافل المستحبات، واجتنبوا المخالفات واتقوا الشبهات، ولازموا الاستغفار، واسألوا الثبات على الحق في الحياة وعند الممات وبعد الممات.

وعليكم بما يتعدى نفعه من الخير لعامة إخوانكم في الدين؛ كتعليم القرآن والسنة، وإرشاد الضال، وتذكير الغافل، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وحسن الجوار، والحث على صحبة الأخيار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتذكير الناس بواجب السمع والطاعة لولاة الأمور المسلمين بالمعروف في العسر واليسر والمنشط والمكره، ولو على أثرة حتى ولو ضرب السلطان الظهر وأخذ المال، فقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم.

وقال ﷺ: «الدين النصيحة» ـ ثلاثاً ـ قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم. وقال ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك» رواه مسلم. وقال: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

وعليكم بإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين، والتيسير على المعسرين، والشفاعة في الخير لعامة المسلمين، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج

عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». وفي صحيح مسلم: «ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «اشفعوا تؤجروا».

واعلموا أن من أفضل أعمالكم التذكير بعبادة الله والدعوة إلى الله، كالأذان للصلوات الخمس. قال ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء ـ يعني الأذان ـ والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهِموا عليه لاستهموا» وأخبر ﷺ «أن المؤذن يغفر له بمد صوته، ويستغفر له كل رطب ويابس سمع صوته، وله مثل أجر كل من صلى مستجيباً لدعوته» وهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

وكذلك إمامة الناس بالصلاة، لمن هو أهل لها بحسب الحال، من أفضل الأعمال، لما فيها من التأسي برسول الله ﷺ، وإعانة عباد الله على أعظم فرائض الله العملية، وأئمة المتقين في الدنيا هم أئمتهم في الآخرة، والصلاة رأس أعمال المتقين وأظهرها. وفي التنزيل ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[2]، وفيه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

وسأل بعض الصحابة النبي ﷺ أن يجعله إمام قومه فقال: «أنت إمامهم». وأمر ﷺ أن يؤم القوم أقرؤهم للكتاب وأعلمهم بالسنة، فلا

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

ينبغي لمن يعلم أنه أهل للإمامة أن يتأخر عنها إذا لم يوجد من هو أفضل منه أو مثله. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله، ولا يحق لأحد من العامة أن يؤم الناس وفيهم من هو أفضل منه». روى الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما: «من أَمَّ قوماً وفيهم من هو أقرأ منه لم يزل في سفال إلى يوم القيامة»، وفي المسند وغيره عن سلامة بنت الحر رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماماً يصلي بهم».

أيها المؤمنون: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»، وقال: «من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»، وقال: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وبعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

فكونوا سباقين إلى الخيرات، أئمةً لأهل الإسلام في الطاعات وترك السيئات، بادروا بالأعمال، فإنكم في زمن الإمهال؛ فإن الفرصة لا تدوم، وصححوا أعمالكم، وسددوا، وابنوها على الإخلاص للحي القيوم، ومتابعة الإمام المعصوم ﷺ، وابتعدوا عن الرياء والسمعة والمقاصد السيئة، ومجاملة الخلق، واعلموا أن الناقد بصير، وأن الله بما تعملون خبير ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٥.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

* * * *

خطر الابتداع واتباع الهوى

الحمد لله الذي مَنَّ على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم!

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي تكفل بحفظ الدين وبقاء طائفة من الأمة على الحق ظاهرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، القائل: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين**» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا أشد هذه الأمة تمسكاً بالشرع وغلظة على أهل البدع.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى، ولا تتبعوا الهوى؛ فتضلوا عن الهدى، وإياكم وهذه الأهواء فإنها تورث العمى، وتجلب الشقاء، وتفسد الدين والدنيا والأخرى، فإنكم في زمان آثر الناس فيه الهوى، فأولعوا بالأهواء، وقد قال تعالى في محكم الكتاب: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن

سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾(١)، فإذا كان من الأنبياء من يحتاجون إلى موعظة بهذا الشأن، فكيف بمن دونهم ومن لا يذكر معهم؟! ولاسيما في هذا الزمان؛ ذلكم لأن الهوى يعمي عن الحق ويصم، ويهلك من انتشر بينهم من الأمم.

عباد الله: لقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من هذه الأمة في الحث على لزوم طريق الهدى، والتحذير من البدع والأهواء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾(٣).

وثبت من غير وجه في الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها من دواوين السنة أن النبي ﷺ قال: «خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». وفي لفظ: «أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وكل ضلالة في النار».

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(١) الآية.

وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله عز وجل في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره»، وفي رواية: «يهتدون بهديه، ويستنون بسنته، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل»، والمقصود الحث على إنكار محدثات الأمور المخالفة لهدي النبي ﷺ وسنته بحسب القدرة والحال، وأدنى ذلك الإنكار بالقلب؛ وذلك بكراهة المحدثات والحذر من أهلها في سائر الحالات.

وفي سنن الدارمي وغيره عن عرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر، ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأنها وعظة مودع فأوصنا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة ـ يعني لمن ولاه الله أمركم ـ وإن كان عبداً حبشيًا؛ فإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والمحدثات؛ فإن كل محدثة بدعة»، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

معشر المسلمين: ومما ورد عن السلف الصالح من الحث على اتباع الهدى، والتحذير من اتباع الهوى، والإصغاء لأهل الأهواء، قول ابن مسعود رضي الله عنه: أيها الناس! إنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول. قال: قال ابن مسعود: ستكون هنّات وهنات، فبحسب امرىء إذا رأى منكراً لا يستطيع له غيراً أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره.

وقال عمر رضي الله عنه: إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى. وقال أيضاً رضي الله عنه: يهدم الإسلام زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، وحكم الأئمة المضلين.

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى: أوصيكم بتقوى الله تعالى، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله ﷺ، وترك ما أحدثه المحدثون بعده.

وقال الحسن رحمه الله: سنتكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما؛ بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا.

وسئل إبراهيم بن موسى رحمه الله عن هذه الأهواء؟ فقال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، ما هي إلا نزغة من الشيطان، عليك بالأمر الأول.

عباد الله: مما سبق يتبين لكم أن التنكر لمنهاج السلف الصالح في الأقوال والأفعال، وتنقص العلماء الأكابر، والتشهير بالحكام على المنابر، وتحديث العوام بما لا يعرفون، وإيغار الصدور والتهويل في الأمور للحكام، والتسبب في تفريق شمل المسلمين، والسعي في إفساد ذات البين، وهي الحالقة التي تحلق الدين، والتشديد إلى حدِّ التكفير بما دون الشرك من الكبائر، وغض النظر عن دعاة الشرك والخرافة من كل وثني حائر، والاحتجاج بمتشابه القرآن، وترك الصحيح الصريح مما جاء عن النبي ﷺ من بيان، والتعاطف مع مثيري الفتن، والتعاون مع كل حزبي نتن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة والدعوة لله على غير ما توجبه الشريعة، ومخالفة أصول عقيدة أهل السنة والجماعة في طاعة الأئمة ونصح الأمة، كل ذلك من أنواع المحدثات التي هي شر الضلات وآثام المبتدعات، وهي كفيلة بهدم الدين وجلب الشقوة على المسلمين. فاحذروا عباد الله هذه الأمور ودعاتها.

عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق، فإنه سيجيء من بعدي قوم يرجِّعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم**»، وفي رواية قال: «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**».

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الحث على التفقه في الدين

الحمد لله الذي رفع أقدار ومنازل أهل العلم والإيمان، وجعلهم أئمة يهدون عباده بالقرآن وما جاء عن المعصوم ﷺ من بيان، ووعدهم في الآخرة بالمنازل العالية من الجنان.

أحمده سبحانه على جزيل نعمه، وأسأله المزيد من جوده وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام، الذي جلى الأحكام وأوضح الحلال والحرام، وكثر ويسر موجبات مغفرة الذنوب ومحو الآثام، وأبان الطريق الموصلة إلى الجنة دار السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل نبي وأكمل مرسل وأعظم شفيع لأهل التوحيد بين يدي الله عز وجل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واشكروا نعمه عليكم ولا تكفروه، واستقيموا على طاعته والإيمان به والتوبة إليه من سوء ما اقترفتموه، واعلموا عباد الله أنه لا يتم للمرء الاتصاف بحقيقة التقوى والاستمساك التام بالعروة الوثقى إلا بالعلم الشرعي المنزَّل على محمد ﷺ؛ فإنه بهذا العلم يعرف المرء حق الله على عباده، وما لكل عامل أو عليه عند الله يوم معاده، فمن سعادة المرء أن يكون فقيهاً في دينه، عاملاً بعلمه، وداعياً إليه ابتغاء وجه ربه، ولذا قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

فالفقه في الدين والعمل به عن إخلاص لرب العالمين من آيات السعادة، ومن أسباب نيل الحسنى والزيادة، إذ الفقه في الدين سبب لمعرفة الحكم والأحكام، والتمييز بين الحلال والحرام، وأداء حق الله على وجه صحيح، والتوبة إلى الله من القبيح، ولذا امتن الله تعالى على سليمان عليه السلام بما خصه به من الفهم، وأمر محمداً ﷺ أن يطلب المزيد من العلم، فكان ﷺ يقول: «**اللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني، وزدني علماً**»، والحمد لله على كل حال، ذلكم يا عباد الله لأن العلم النافع والعمل الصالح داخلان في معنى الحكمة المنصوص عليها في محكم الكتاب: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

عباد الله: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة تقتفى آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في مجالستهم وبأجنحتها تحفهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء.

أيها المسلمون: تعلموا كتاب الله، وعلموه أولادكم ونساءكم؛ فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرىء عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وما هديتم لعلمه فاعملوا به لعلكم تهتدون، ألا وإن العَالِم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستقيم عن جهله، بل إن الحجة أعظم والحسرة أدوم على هذا العَالِم المنسلخ من عمله من ذاك الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما مضلل مثبور، والسعيد من علم خيراً فعمل برًّا، وقدم ذخراً، وورث هدى ينتفع به من بعده، جعلني الله وإياكم من السعداء في الدنيا والأخرى، وأعاذنا من حال الجاهلين ومآل الأشقياء الخاسرين.

أيها المؤمنون: روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو مع الإنفاق والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومحبة العلم دين يدان لله بها، والعلم يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وضيعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء

باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

أيها المؤمنون: من أورثه الله علم الكتاب والسنة فقد اصطفاه، ومن استشهد به على توحيده وصدق وعده فقد عدله وزكاه وارتضاه، ومن شهد الله له بكمال الخشية منه فقد أحبه وأدناه، وما أعظم ما أعد له من النعيم وألوان التكريم والرضوان في أخراه، وكيف لا وقد جعله الله في الدارين في درجة تلي درجة النبيين، وكل ذلك مما اختص الله به العلماء العاملين وذلك هو الفضل المبين.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٤]، وقال جل ذكره: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٦].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»**. وقال ﷺ: **«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما وثوا العلم فمن**

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٥) سورة النور، الآية: ٥٢.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ١١.

أخذه أخذ بحظ وافر». وجاء عنه ﷺ في الشفاعة: أن أول من يشفع الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء.

ففي هذه النصوص الكريمة ما يحفز العاقل ذا الهمة العالية على طلب العلم والاشتغال به، فإن أدرك ذلك فاز بتلك الكرامات، وإن مات قبل بلوغ الغاية فحسبه أنه مات في طريق الجنة، والأعمال بالنيات، فتعلموا العلم عباد الله صغاراً وكباراً ورجالاً ونساءً، تعرفوا أحكام دينكم، وتفوزوا بما وعد ربكم من الخير في العاجل والآجل، جعلني الله وإياكم من العلماء العاملين المخلصين، وجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، وحشرنا في زمرة الأئمة المتقين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً كثيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كفى به بذنوب عباده خبيراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله: إن كثيراً من الناس اليوم أعرضوا عن العلم الشرعي

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

النافع المبارك؛ لأنه في نظرهم لا يخدمهم في أمور الحياة، فشغلوا أوقاتهم بغيره، وصدوا عن طاعة الله وذكره، وضيعوا أوقاتهم في العكوف على الملاهي، وصار الواحد يجاهر بمعصية الله ويباهي، ويتنافسون في معرفة اللغات الأجنبية والمسالك الكفرية من أجل التجارات وتحقيق المباهاة، ويبذلون جهدهم في ذلك ويخسرون الكثير من أموالهم في سبيل ذلك، وكم يتعرضون له من أجلها من أنواع الضلال وأسباب المهالك، وغاية ما هم عليه أن ينال أحدهم شيئاً من عرض الدنيا، وماذا يغنيه لو حصَّله وقد عرض نفسه للخسارة في الأخرى؟.

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وفي أولادكم وذويكم، واعلموا أنه لا سعادة لكم إلا في أن تعبدوا الله على بصيرة، ولا سبيل لذلك إلا بالفقه في الدين ومعرفة سنة النبي الأمين، ومن أراد الآخرة فاز بالدنيا والآخرة، ومن أراد الدنيا فاتته الآخرة، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، فتفقهوا في دينكم والزموا هدي نبيكم، وأخلصوا العمل لوجه ربكم، تكونوا من السعداء في الدنيا والآخرة.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

العدل في كل شيء

الحمد لله الذي أتقن ما صنع، وأحكم ما شرع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق تقواه؛ فإنه من اتقى الله تولاه فوقاه الشرور، وأحسن عاقبته في جميع الأمور، وأكرم مثواه، وأدخله الجنة وأحل عليه رضاه، فطوبى لعبد اتقى واتبع الهدى.

عباد الله: اعلموا أن من أعظم حقوق التقوى وأجلِّ لوازمها العدل في كل شيء؛ صغير أو كبير أو قليل أو كثير، وبين كل أحد؛ من قريب أو بعيد أو عدو أو صديق، أو عظيم أو حقير، فإن العدل من كريم الخصال وجلائل الأعمال، ومن أعظم واجبات الدين، وأفرض حقوق رب العالمين، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[٢]،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

وقال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾(١). فأوجب سبحانه على عباده المؤمنين العمل بشرائع الدين، ومن ذلك العدل في الأقوال والأعمال، والحكم والشهادات، والقسم، في الأهل والبنين والقرابات الأدنين وحتى في الأبعدين من الموالي والمعادين، فإن ذلك حق لله على خلقه، فلا يحابىٰ به قريب لقريبه، ولا صديق لحبه، بل يقوم به العبد الصالح لربه.

عباد الله: فأوجب الواجبات القيام بالعدل في معاملة رب الأرض والسماوات؛ فإنه سبحانه هو الله الذي خلقنا بعد عدم، وربانا بالنعم، وتابع علينا ألوان الجود والفضل والكرم، فحقه سبحانه أن يوحَّد بما شرع، وأن يؤدى إليه حقه على السنة خالياً من البدع؛ محبة له وتذللاً وتعظيماً له وإجلالاً؛ فيفرد بالعبادة خالصاً له الدين، وأن يتعلق به قلب العابد غير ملتفت عنه إلى أحد من المخلوقين؛ فإن الشرك أقبح الذنب وعدل بالرب ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾(٢)، أي يعدلونه بخلقه فيجعلون له منهم نظراء وأمثالاً وأنداداً وأوثاناً، وهذا أظلم الظلم وأشد الجور في الحكم ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾(٣)، ولهذا توعد الله أهله بأشد ألوان الوعيد وأعظمه ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾(١).

أيها المسلمون: وبر الوالدين والإحسان بالأبوين من أشرف أنواع العدل؛ لأنه من الاعتراف بالفضل لذوي الفضل، ومقابلة الجميل بالجميل، ومجازاة أهل الإحسان بالإحسان، ولهذا قرنه الله بالتوحيد، وأمر به عامة العبيد، وكفى بذلك تأكيداً وتبياناً ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(٢)، وجاء في السنة: لا يدخل الجنة عاق لوالديه. فيا ويح ذوي العقوق من شؤم تقصيرهم في حقٍ من أجلِّ الحقوق.

أيها المسلمون: والعدل بين النساء من أوجب أنواع العدل، فاستوصوا بهن خيراً؛ فإن الله تعالى لم يبح تعدد الزوجات إلا بشرط العدل، كما قال في محكم الآيات: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾(٣).

فواجب المسلم العاقل أن يراعي العدل بين زوجاته في المبيت والمقيل والكسوة والنفقة، وأن يجتهد في حسن العشرة إلا أن تسقط إحداهن حقها من ذلك اختياراً لا إجباراً ولا اضطراراً فلا جناح عليه في ذلك؛ فقد وهبت سودة رضي الله عنها نوبتها وليلتها لعائشة رضي الله عنها، وكان النبي ﷺ يقسم بين زوجاته في هذه الأمور فيعدل، ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك**» يعني المبيت والمقيل والكسوة والنفقة وحسن العشرة، «**فلا تلمني فيما لا أملك**»؛ يعني محبة القلب

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣.

ودواعيها وتوابعها، فإن ذلك متعذر غير مستطاع كما أخبر الله بذلك في قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾(١) يعني في محبة القلب وتوابعها ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾(٢) يعني إلى إحدى الزوجات، وتذرون الأخرى كالمعلقة لا هي ذات زوج ولا مطلقة، كما يوجد في كثير من الذواقين الناسين لهول موقفهم، وتوقفهم غداً بين يدي رب العالمين، فتجد أحدهم متى استجد امرأة ووقعت منه موقع المحبة والحظوة هجر امرأته الأولى وقلاها، وقطع صلته بها وآذاها؛ فحرمها المبيت، وقطع عنها نفقة رضيعها وضيع عيالها، فلا يلقاها إلا بوجه عبوس، وكم تتجرع من مرارة عشرته من الكؤوس، وفي الحديث: «**من كان له زوجتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**»، وكان النبي ﷺ يقول في المجامع العظام مخاطباً أهل الإسلام: «**اتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فإنهن عوان عندكم**» يعني أسيرات. ويقول: «**وإني أخرج حق الضعيف واليتيم والمرأة**».

أيها المسلمون: ومن العدل وجوب التسوية بين الأولاد في العطية والوصية، وكان السلف الصالح يفرض العدل بين الأولاد من الذكور والإناث، ويحذرون تفضيل بعضهم على بعض في الأعطيات والهبات؛ فإن النبي ﷺ سمَّىٰ ذلك جوازاً وقال لمن أراد أن يشهده على عطية لأحد أبنائه دون الآخرين: لا تشهدني على جور. وقال: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»؛ وذلك لأن تخصيص بعض الذرية

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

دون بعض بفضل عطية أو وصية يؤدي إلى العداوة والبغضاء والعقوق وقطيعة الرحم، والتقصير فيما أوجب الله على بعضهم لبعض من الحقوق.

فاتقوا الله عباد الله، واعدلوا بين نسائكم وأولادكم وكافة ما أمركم الله بالعدل فيه، واحذروا أن تخصوا أحداً دون غيره بشيء من هبات أو وصايا، فإن ذلك من الحيف والجور ومن أسباب سوء الخاتمة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة**، وقال: **واقرؤوا إن شئتم**: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾[1]».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا جميعاً بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين والمسلمين من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله الذي يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. أحمده سبحانه، يعلم سركم وجهركم، ويعلم ما تكسبون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الموصوف في الكتب المتقدمة بأنه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المثنى عليهم بقول الحق في الكتاب المبين: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[2].

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وآمنوا به ولا تعصوه، وأمروا بالمعروف الذي أصله وأساسه التوحيد، وفرعه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

وثمرته العمل الصالح وكل قول سديد وخلق حميد، وانهوا عن المنكر الذي أساسه الإشراك بالله والقول في الدين بغير هدى من الله، وفروعه وخصاله أنواع الفسوق والعصيان وكبائر ما نهى الله عنه من أنواع الطغيان، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ بحسب الحال ـ من واجبات الدين وفرائض الله على المؤمنين، فقوموا بهذا الواجب فإنه من جليل الأعمال، وادخروه لكم عند الله ذخراً ليوم الفزع والأهوال؛ فإن الله تعالى قد أكثر من ذكر الأمر والنهي في الوحيين، وأغرى بالقيام بهما المؤمنين من الثقلين، بما جلى من ذكر عواقبه الحسنة وآثاره المباركة على المجتمع الذي يعلي بناءه ويشيد، وزجر عن إهماله والتفريط فيه بضروب التهديد وألوان الوعيد.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾(١)، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾(٢).

وقال جل ذكره: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١١٣ ـ ١١٥.

وقال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(٢)، وقال عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾(٣).

عباد الله: فهذه النصوص وأمثالها في الكتاب والسنة كثيرة مما جاء بشأن تلكم الشعيرة؛ تبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عظيم، وأنه شعار للدين القويم، وأنه مبارك الأثر عظيم الخطر، وأنه من جليل العمل الصالح وثنيه على ما يتحقق بالقيام به من كامل أو راجح المصالح؛ ولذا رغب الله تعالى به المؤمنين، وجعله حتماً على القادرين؛ لأنه من أمارات الصلاح وموجبات الفلاح وأعظم أسباب الإصلاح، ومن موجبات عزة المؤمنين،

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧١، ٧٢.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.
(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٦٤ ـ ١٦٦.

وتمكين الدين، وإعلاء كلمة الله في العالمين، وتحقيق الأمن التام والهدى الكامل لأهله في الدارين، والفوز بما وعد الله القائمين به من الأجر العظيم، والنعيم المقيم، والمساكن الطيبة في الجنات، والرضوان من الله كما في محكم الآيات. فأطيعوا الله فيما أمركم ينجز لكم ما وعدكم.

عباد الله: إن المؤمن حقاً يقوم بما أوجب الله عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ حسب استطاعته ـ طاعةً لله، وإظهاراً لمحبته، وإجلالاً له أن يجاهر بمعصيته، وطمعاً في ثواب الله، وحذراً من عقوبته، واتباعاً للمصطفين من عباده، ورجاء أن يحشره الله معهم يوم معاده، وبراءة للذمة، وإقامة للحجة، ونصحاً للأمة، وحفظاً للنعماء، ودفعاً للفتن والبلاء، ولذا فالقائمون بالأمر بالمعروف والنهي في هذا الزمان وفي كل زمان ومكان هم خير أمة أُخرجت للناس، وأنفع الناس للناس، وهم الرحماء الذين يرحمهم ربنا الذي في السماء.

أيها المسلمون: صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». وفي الحديث الآخر الذي ذكر فيه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون قال: «**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل**».

فبين ﷺ مراتب تغيير المنكر، ونبه على أنه من الجهاد. فيجب

على القادر من أهل الإسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ما لا يجب على العاجز عن ذلك، وهكذا على القادر على ذلك بلسانه من الوجوب ما ليس على غيره، أما الإنكار بالقلب فهو واجب بكل حال، وليس بعده إيمان، أي ليس دون إنكار القلب عمل يثاب المرء عليه، فمن لم ينكر بقلبه فلا إيمان له.

عباد الله: ومن الحكمة ـ أيضاً ـ في الأمر والنهي مراعاةُ الأحوال في المأمورين والمنهيين؛ كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده:

أ ـ فمن الاستطاعة والحكمة في الأمر والنهي أن يكون التغيير والإنكار بالعلم لا بالجهل، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، والبداءة بالأهم فالأهم، وبما يكون قبوله أحرى وأتم، وبالرفق واللين.

ب ـ فإن انقاد بالحكمة وهي الدليل، وإلا انتقل معه إلى الموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب؛ إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها والنواهي من المضار وبيانها، وإما بذكر إكرام الله للمستقيمين على دينه ونواهيه، والتذكير بما توعد الله به العاصين، من العذاب في دنياهم ويوم الحساب.

جـ ـ فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق أو كان داعياً إلى باطل فيجادل بالتي هي أحسن وهي الطريقة التي تكون بالحوار والمناظرة لكشف الشبهات وإزالة التلبيسات، وإظهار الحق بالبراهين الواضحات.

عباد الله: كم في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الخير الكثير، والأجر الكبير، وصلاح الأمم، وحفظ النعم، ووفرة الأمن، ودرء الفتن، وإجابة الدعاء، وصرف كيد الأعداء، مع تكفير السيئات ومضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات، والإحسان إلى الخلق، والتثبت عند الموت على الحق. وكم في تضييعها من عظيم الأضرار وجليل الأخطار.

وفي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخطار كثيرة:

منها: ظهور المعاصي والجرأة عليها، وذلك موجب للهلاك؛ فقد سئل النبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

ومنها: تسلط الأشرار على الأخيار، فيسومونهم سوء العذاب.

ومنها: الضلال بعد الهدى والتيه في أودية الردى.

ومنها: سوء الخاتمة للمقصرين، ومهلكهم عند نزول العقوبة.

ومنها: التعرض للعنة الله والذلة لأعداء الله.

فاتقوا الله عباد الله، وقوموا بما أوجب الله عليكم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة، من غير تشهير ولا شناعة، وأخلصوا لله في القصد، ولا تبغوا على أحد، واهتدوا بهدي الكتاب والسنة، واقتفوا أثر السلف الصالح من الأمة؛ حتى تكونوا من الصالحين المصلحين، وتلحقوا بالسابقين الأولين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ

تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

الاغتباط بنعمة الهداية للإسلام

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى واشكروه على أن اصطفى لكم الدين فجعلكم له مسلمين وبنبيه محمد ﷺ مؤمنين، فإن تلكم أعظم نعمة مَنَّ الله بها على الآباء ومتع بها الأحياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾[(١)].

فالاغتباط الحقيقي والفرح المشروع إنما هو بالهداية إلى الإسلام، واتباع محمد عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، وأن الله تعالى إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه؛ فإن ظهور أثر النعمة على العبد أمارة على الشكر وبراءة من الكفر، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[(٢)]، فوعد الله تعالى الشاكرين بالمزيد، وتهدد الكافرين بالعذاب الشديد، و﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾[(٣)].

أيها المسلمون: إن للاغتباط بنعمة الهداية للإسلام آيات، وللشكر ثمرات هي له أمارات، فمن ذلك: أن يعتز بدين الإسلام بالقول، ويظهر شعائره بالفعل، وأن يصرح بالبراءة من كل ما خالفه من عامل أو عمل كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٤) سورة الأنعام، الآيات: ١٦١ ـ ١٦٣.

وَكَذَّبْتُم بِهِۦٓ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾(٣).

فالاعتزاز بالدين وإظهار شعائره والاغتباط به على رؤوس العالمين، والبراءة مما عليه المخالفون من أهل الكتاب والمشركين والجاهليين وأصناف الضالين: من ملة إبراهيم؛ ومن هدي نبينا محمد عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

عباد الله: ومن آثار الاغتباط بنعمة الهداية إلى الإسلام والشكر عليها لذي الجلال والإكرام أن يعتني المرء بالفقه في دينه بمعرفة أصوله وفروعه وأحكامه وأخلاقه وقواعده ومقاصده، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾(٤).

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وأخبر أن: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» فإنه بالفقه في الدين يدرك المرء محاسنه وفضائله

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٥٦، ٥٧.
(٢) سورة الكافرون، الآيات: ١ ـ ٦.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

على التفصيل، ويعرف ما للعامل به من الثواب عليه عند المولى الجليل، في العمل الصالح، وينزجر عن القبائح ويهتدي إلى أرجح وأكمل المصالح.

معشر المسلمين: ومن آثار الاغتباط بنعمة الهداية إلى الإسلام أن يستقيم المرء على دين الله امتثالاً للمأمور، وتركاً للمحظور، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾[(٢)]، وقال جل ذكره: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[(٤)].

أيها المسلمون: ومن علامات الاغتباط بنعمة الله تعالى بالهداية إلى الإسلام الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لله في الأمر، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[(٥)] وقال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٦)] وقال جل ذكره: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٦.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١٥.
(٤) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٥) سورة التغابن، الآية: ١١.
(٦) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١).

معشر المسلمين: ومن آيات شكر الله على نعمة الإسلام أن يجتهد المرء بالدعوة إليه؛ فيحرص على هداية الخاص والعام كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾(٤).

فالدعوة إلى دين الله من منهج رسل الله وصالح أعمال عباد الله، يحسنون إلى خلق الله كما أحسن الله إليهم، ويعلمون أن نفع ذلك عائدٌ إليهم؛ وذلكم أن الدعوة إلى الله من الصلاح والله يحب الصالحين، ومن أعظم أسباب الإصلاح وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، وقد وعد الله الذين يدعون إلى الخير بالفلاح، وكم في صحيح السنة من التبشير للدعاة بجزيل فضل الله وعظيم منه كقوله ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٤) سورة فصلت، الآيات: ٣٣ ـ ٣٥.

حمر النعم» وقوله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». فالداعون إلى الله الصابرون ابتغاء وجهه فائزون بمعيته، مؤيَّدون بهدايته، منتظرون لكريم مثوبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾[1] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[2].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

فضل لين القلوب ورقتها وأسبابه

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى، واجتهدوا في الأخذ بما فيه صلاح قلوبكم وأعمالكم؛ فإن القلب هو محل نظر الله من العبد، وبصلاحه تستقيم الجوارح، وتصلح الأعمال، وتسدد الأقوال، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» رواه مسلم. وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إن الحلال بيِّن وإن الحرام بين**» الحديث، وفيه قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**».

وكم في الكتاب والسنة من آيات صريحة وأحاديث صحيحة اشتملت على التنويه بشرف القلب الصالح وأن صلاحه أصل كل عمل صالح ذلكم يا عباد الله لأن القلب هو أشرف ما في الإنسان، ومحل العلم منه والعرفان، فإذا صلح قلب المرء استنارت بصيرته، وطابت

سريرته، وخلصت نيته، وعظمت في الله معرفته، وامتلأ من تعظيم الله وهيبته، وخوفه ومحبته، ورجائه وخشيته؛ ولهذا بعثت إليه الرسل من الرحمن، وخوطب بالقرآن؛ لإخلاص التوحيد وتحقيق الإيمان، وكان أشرف العطايا وأجل المنح، والمبارك على الجسد إذا صلح، وإنما الجوارح أتباع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد، فسبحان مقلب القلوب ومودعها ما يشاء من الأسرار والغيوب، الذي يحول بين المرء وقلبه، ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته وأسباب حبه؛ ولذا كانت أكثر يمين النبي ﷺ: «**لا، ومقلب القلوب**»، ومن مأثور دعائه: «**اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك**» وكان أكثر دعائه: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**».

أيها المسلمون: إن القلب الصالح هو الخاشع اللين الوجل عند ذكر الله، الرحيم الرقيق لعباد الله، وهو الموعود بكل خير من الله في دنياه وأخراه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾[1]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾[2].

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم**

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.

(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

ما جهلتم، مما علمني يومي هذا» الحديث. وفيه قال ﷺ: «وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» رواه مسلم.

عباد الله: إن القلوب اللينة الرقيقة الرحيمة الوجلة هي القلوب الصالحة القريبة من الله، التي تخشع إذا سمعت القرآن يتلى؛ فتنتفع بالذكرى، وتزداد من الهدى، وتشتمل على التقوى، وتلكم هي القلوب المرحومة التي تحرم أجسادها على النار، وتفتح لها أبواب الجنة، ونعم دار المتقين الأخيار.

فخذوا عباد الله بأسباب لين القلوب، واسألوا الله أن ينفعكم بها؛ فيلين قلوبكم حتى ترحموا وعلى النار تحرموا وبلقاء ربكم وجنته تفرحوا.

أيها المسلمون: إن تلاوة القرآن واستماعه رغبة في الهدى، وطلباً للزلفى، من أعظم أسباب لين القلوب ورقتها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٢].

ومن أعظم ما يلين القلوب ويذهب قسوتها ذكر الموت، وشهود الجنائز، وزيارة المقابر، قال ﷺ: «أكثروا ذكر هادم

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

اللذات». وجعل ﷺ الصلاة على الجنازة وتشييعها إلى المقبرة من حقوق المسلم على أخيه؛ لما يترتب عليها من لين القلب، والتزهيد في الدنيا. وقال ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة».

ومن أعظم ما يلين القلوب كثرة ذكر الله، وحضور مجالس الذكر؛ فإنها تجلو عن القلوب صداها، وتذكرها بحقوق مولاها، وتحرضها على شكر نعماها، والتوبة إلى الله من خطاياها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[1].

ومن أعظم أسباب لين القلوب زيارة المرضى، ومخالطة المساكين والفقراء والضعفاء، والاعتبار بحال أهل البلاء. ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[2]، وقال ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

ومن أعظم ما يلين القلوب الاعتبار بما جرى ويجري على المكذبين من الماضين والمعاصرين من أنواع العقوبات وشديد الأخذات، قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٨، ٢٩.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (١).

معشر المؤمنين: وأسباب لين القلوب ورقتها كثيرة، وهي بحمد الله محبوبة ميسورة، ومن أهمها أكل الحلال، والتقرب إلى الله بنوافل الأعمال، والإلحاح على الله بالدعاء، والعطف على المساكين والأيتام والضعفاء، والرحمة بالحيوان، ومجالسة أهل العلم والإيمان، وكل ذلك بحمد الله من أبواب الخير وخصال البر، من تحراها وجدها ومن أخذ بها حمدها.

فاتقوا الله عباد الله، وتحروا ما يلين قلوبكم ويحييها، واحذروا من كل ما من شأنه أن يظلم بصيرتها ويقسيها؛ فإنكم إلى ربكم منقلبون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

مراقبة الله عز وجل

الحمد لله الذي وسع كل شيءٍ علماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكماً، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الكبير اللطيف الخبير، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى، الداعي إلى أكمل الدين والهدى، صاحب المقام المحمود واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

أيها الناس! اتقوا الله في السر والعلن، واجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتذكروا أنكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى، بل خلقتم للعبادة، وأمرتم بالطاعة، ونهيتم عن المخالفة، وأنكم كادحون إلى ربكم كدحاً فملاقوه ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[١] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٢].

أيها المسلمون: صح في الحديث عن نبيكم ﷺ قوله:

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣١.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٤١.

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ومقتضى هذا الحديث أن يسير العبد الناصح لنفسه في طريقه إلى ربه على هذه الصفة، يعبد الله كأن الله يشاهده، فإن لم يتيسر له هذا المقام فليعبد الله بمقام المراقبين بحيث يستشعر المرء أن الله يراقبه؛ فهو معه بعلمه وإحاطته أينما كان، يسمع أقواله، ويرى أعماله، ويعلم أحواله ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾[1].

فاعتقاد هذا القرب واستحضار تلك المعية يوجبان للعبد الخشية والخوف من الله تعالى، والهيبة والتعظيم والإجلال له سبحانه، ويبعثان على الحياء من الله تعالى والخجل من مقارفة معصيته، والإخلاص لله في عبادته وتحسينها وإتمامها وإكمالها؛ طمعاً في جزيل مثوبته.

ولذا أوصى النبي ﷺ بهذا المقام جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، قال أبوذر رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه فإن لم أكن أراه فإنه يراني. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «اعبد الله كأنك تراه»، وقال رجل للنبي ﷺ: حدثني بحديث واجعله موجزاً، فقال ﷺ: «صلِّ صلاة مودع فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك»، ووصى ﷺ رجلاً فقال: «استحِ من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك».

---

(١) سورة الرعد، الآيات: ٨ ـ ١٠.

ويكفي في ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[1].

أيها المسلمون: فمراقبة العبد لربه هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الله تعالى على سره وعلانيته، وأنه سبحانه ناظر إليه في شتى حالاته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2]، ومتى عقل المرء هذا الأمر واستيقنه قلبه واستحضر موقفه غداً بين يدي ربه كان باعثاً له على الإكثار من الطاعات، ومجانبة المنكرات وأنواع المخالفات، وقرب التوبة من السيئات، والاشتغال بعمارة وقته بأنواع الصالحات؛ خشية من الفوت وحذراً من مفاجأة الموت.

وهذا المقام هو الذي منع يوسف نبي الله عن المعصية حينما ابتلي ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3]، وهذا المقام هو الذي جعل الفتاة التي أمرتها أمها أن تغش اللبن قبل بيعه للناس أن تراجع أمها قائلة: يا أماه! ألا تخافين من عمر؟ تعني أمير المؤمنين. فقالت لها أمها: إن عمر لا يرانا، فقالت الفتاة: إن كان

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

عمر لا يرانا فرب عمر يرانا. وكذلك الرجل الذي تمكن من المرأة فقالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه؛ فقام وتركها، وترك المال الذي أعطاها لما ذكَّرته بتقوى الله فقام وتركها خوفاً من الله. وأمثلة ذلك في الناس كثيرة.

معشر المسلمين: والغفلة عن هذا المقام هي التي جعلت بعض الناس ينامون عن صلاة الفجر مطمئنين غير مبالين، وآخرين يأكلون أموال الناس محتالين، وفريقاً يلوذون عن أنظار المسلمين في البيوت ونحوها، فيباشرون فظيع الإجرام، وينتهكون العرض الحرام، فلو كان لهؤلاء قلوب يقظة حية تعتقد أنه لا يحجز بصر الله حاجز، ولا يرد حكمه راد، ولا يجير من عذابه مجير، لما بارزوا الله بالعصيان، وارتكبوا أنواع الإثم والعدوان، ولكن غفلت القلوب فتراكمت الذنوب حتى استهانوا بوعيد علام الغيوب، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[1]، ويقول ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[2].

فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في جميع أحوالكم، واتقوه وأطيعوه مخلصين في جميع أعمالكم؛ فإنه عليكم رقيب، ومنكم قريب، وأعمالكم عليكم محصاة، وغداً موفاة. وصح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**يقول الله عز وجل: يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم**

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٢.

أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٨.

اغتنام الأوقات في المسارعة إلى الخيرات

الحمد لله الذي أمر عباده باستباق الخيرات، وحثهم على أسباب الفوز بالمغفرة والجنات.

أحمده سبحانه حمداً يملأ الأرض والسماوات وما بينهما وغيرهما مما شاء من المخلوقات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته، ولا ند له في إلهيته، ولا مثل له ولا سمي ولا كفو في أسمائه وصفاته وأفعاله وأنواع كمالاته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، والرسول المجتبى، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1]، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والأئمة المهديين ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[2].

أما بعد:

أيها الناس! اتقوا الله تعالى في سائر الأحوال، وتنافسوا في صالح الأعمال ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[1].

عباد الله: بادروا بالأعمال الصالحة فإنها التجارة الرابحة، فاغتنموا حياتكم قبل انتهائها، وأعماركم قبل انقضائها، ونعمكم قبل زوالها، وعافيتكم قبل تحولها، ويسر أموركم قبل تبدلها، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟.

أيها المسلمون: إن الله تعالى قد أمرنا باستباق الخيرات وأثنى على المسارعين إليها، كما قال في محكم الآيات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[2]، وفي ذلك من الحث على فعل الخير والتنافس في خصال البر ما لا يخفى على أولي النهى.

عباد الله: المسارعة إلى الخيرات صفة جامعة لأنواع الإحسان إلى النفس وإلى الناس، من أداء فرائض الطاعات، وتكميلها بالمشروع من جنسها من النوافل والمستحبات، وترك السيئات، والحذر من التعدي على البريات، والاحتياط لذلك باتقاء الشبهات، والتوبة إلى الله مما سلف من الزلات، أما استباقها بتضمن المبادرة إليها وفعلها على أحسن وجوهها، وتكميلها بإيقاعها على أحسن الأحوال، مع الحذر من مبطلات الأعمال، كالسمعة والرياء والمن والأذى وأنواع الاعتداء، والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى رفيع الدرجات وعَلِيِّ المقامات في الأخرى، قال

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٥، ٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[1]. وقال ﷺ: «سبق المفردون» قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

فأسرع الناس إلى الطاعات أسبقهم إلى المنازل التالية من الجنات، وأسبق أهل كل عمل أكثرهم لله ذكراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[2]، ولما قال رجل للنبي ﷺ: أسألك مرافقتك في الجنة، أجابه النبي ﷺ بقوله: «فأعني على نفسك بكثرة السجود».

عباد الله: إن استباق الخيرات مفتاح لخزائن الأعمال الصالحات، فما يكاد العبد يفرغ من عمل صالح سبق إليه إلا فتح الله تعالى له أبواباً مثله، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4]، وفي الأثر: من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يكن يعلم.

والسابق إلى الخيرات يجعله الله إماماً للمتقين يقتدون به في كل ما يرضي رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[5]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من سن في

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٤.
(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.
(٣) سورة مريم، الآية: ٧٦.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستجيبوا لربكم لعلكم تفلحون، ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[1] الآيات.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه، وأعاذنا من عذابه. وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمسلمين من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

اغتنام الفرص في أنواع الطاعات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتقواه تنال المسرات وتستنزل البركات، وبطاعته تطيب الحياة، ويفوز العاملون بالمغفرة والجنات ورضوان رب الأرض والسماوات.

أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء الأرض والسماوات، وملء ما بينهما وما شاء ربي من الكائنات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله الأولين والآخرين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين وسيد الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله فإن تقوى الله خير لباس، وتزودوا ليوم الجمع ذلك يوم مجموع له الناس، ذلك يوم التغابن إذ يصيرون إلى فريقين؛ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾[١]، ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ١٨ ـ ٢٠.

ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾[1].

عباد الله: إن الجنة رحمة الله تنال بأعمال صالحة جعلها الله تعالى سبباً لرحمته، هي الإيمان بالله والإخلاص له وترك الشرك به والمسارعة إلى طاعته والتوبة إليه من معصيته، والإحسان إلى عباده، وكف الأذى عن خلقه، وتحمل الأذى طلباً لمثوبته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن العشرة والصحبة، وقول الخير، وصلة الأرحام، والبر، إلى غير ذلكم من أنواع الطاعات وجليل القربات التي شرعها الرحمن الرحيم، وأرشد إليها أهل الإيمان، ورتب عليها الفوز العظيم والثواب الكريم، وأثنى عليهم بتحرِّيها والمسارعة إليها والمسابقة فيها كما في الذكر الحكيم:

﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ۝١٣٦﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ

---

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٨ ـ ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦.

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ (١).

فأولئك الأخيار الأبرار أطاعوا الله فيما أمرهم، فأنجز لهم ما وعدهم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ (٣).

معشر المسلمين: من سارع إلى الخير سبق إليه وكتب له ثواب نيته وسعيه فيه، ومن أحسن إلى الخلق أحسن الله إليه. فتنافسوا رحمنا الله وإياكم في خصال الخير ابتغاء وجه ربكم الأعلى، وتعاونوا على البر والتقوى، وتوبوا إلى الله من زلاتكم وتقصيركم في حقه قبل أن ينزل الموت بالحمى، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ (٤)، فمن سابق إلى الخير سبق، ومن سار على منهاج الصالحين لحق، ومن ضيع الفرصة واستهان بالنعيم غبن، ومن خالف أمر الله عذب وفتن.

وفي صحيح الحاكم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ وعظ

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧١، ٧٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ ـ ٦١.
(٤) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

رجلاً فقال: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك، فما بعد الدنيا من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار، فاتقوا الله ربكم، وأدوا ما افترض عليكم، وتوبوا إليه من زلاتكم وتقصيركم، واعتذروا إليه قبل أن تفضوا إليه، وقدموا خيراً يسركم يوم القدوم عليه، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾[1]».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

الحث على اغتنام العمر في خصال الخير

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين والناصح المبين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله واجتهدوا فيما يحبه ويرضاه، وتوبوا إلى ربكم قبل أن ينظر المرء ما قدمت يداه؛ فإن الله تعالى قد أقام عليكم الحجة فيما شرع لكم من الهدى، وأسبغ عليكم النعمى، وأمهلكم إلى أجل مسمى، وكل إلى نفاد وشيك وزوال قريب، ولن يزيد في العمر المحدود طول الأمل الممدود، فأكثروا من صالح العمل قبل نفاذ الأجل، وتأهبوا للنقلة فإن الرحيل قريب، وتزودوا للمسير فإن السفر بعيد، والمعاد مضمار العباد، فيغتبط بما احتقب غانم، ويبتئس على ما فاته نادم، فبادروا بالخير ـ رحمني الله وإياكم ـ ما دمتم في مهل الأنفاس وجدة الأحلاس قبل أن يؤخذ بالكضم ولا يغني الندم، فلن يهمل من الأعمال صغير ولا كبير، ولن يظلم أحد ذرة فضلاً عن النقير والقِطْمِير.

أيها المسلمون: جاء في سنن الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً،

أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر»؟. والمعنى: اغتنموا الفرص في عمل الصالحات وترك المنهيات، والتوبة إلى الله من الخطيئات قبل أن تفاجأوا بواحدة أو أكثر من هذه الفواقر الكبار.

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ وعظ رجلاً فقال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

وفي التنزيل يقول الرب الجليل: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

عباد الله: افعلوا الخير واستبقوا الخيرات، وسارعوا إلى المغفرة والجنات، بادروا في ذلكم الأعمار، واشغلوا به لحظات الليل والنهار؛ فإن من سارع إلى الخيرات سبق، ومن أخذ بمنهاج السلف الصالح لحق، وذلكم يقين بخبر رب العالمين إذ يقول في الذكر المبين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[2]، ويقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم

---

(١) سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(١)، فتحروا الخير تُهْدَوا إليه، ولازموه حتى تلقوا ربكم عليه، فقد ثبت في الصحيح: «يبعث كل امرىء على ما مات عليه».

معشر المسلمين: ومن نعم الله على العباد أن الخير مُنَوَّعٌ وميسر ومبارك وثوابه مكثر، وهو معالم تهدي من فطن لها، فاهتدى بها، إلى مثلها، وخزائن بعضها مفاتيح بعض، وأيم الله إنها أعظم وأجل وأنفع وأبقى من خزائن الأرض، فافرحوا بما شرع الله لكم من أبوابه، واستبشروا بجزيل إنعامه وكريم ثوابه ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾(٢).

معشر المسلمين: ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون» وفي رواية: «بضع وستون شعبة»: . «فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق؛ والحياء شعبة من الإيمان»، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله» قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً» قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق» قلت: يا رسول الله!

---

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.

أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرّك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك» متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه خلق كل إنسان على ستين وثلاثمائة مفصل؛ فمن كبر الله وحده، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح» متفق عليه.

وفي الصحيحين عنه أيضاً في قصة الرجل الذي وجد كلباً يلهث يأكل الثرى من العطش فنزل بئراً فسقاه، وفيها: «فشكر الله له فغفر له»، وفي البخاري: «فأدخله الجنة». وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر الله له فغفر له». وفي رواية لمسلم: «فأدخل الجنة».

وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط» رواه مسلم.

وفي البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة ـ يعني نوعاً من البر ـ أعلاها منيحة

العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة».

معشر المسلمين: تلكم خصال من الخير ومثلها في الكتاب والسنة كثير جعلها الله أسباباً لمحو الخطيئات وكثرة الحسنات ورفعة الدرجات، ونجاة من النار وأبواباً تدخل منها الجنة مع الأبرار، فتنافسوا فيها تكونوا من أهلها، ولازموها تُعْرَفوا بها، واهدوا غيركم إليها يكن لكم مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجره شيئاً، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». ومما تفضل الله به على معتادي الخير تفضيلاً وتكريماً أن العبد إذا مرض أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾[1].

منحنا الله وإياكم هداه، ووفقنا لما يحبه ويرضاه، وجعلنا من الفائزين بمغفرته وجناته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

أمور تستدرك بها بقية العمر

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى في جميع أوقاتكم، وأطيعوه فيما أمركم، ولا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم، ولا تجعلوا أيمانكم ونعم الله عليكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهِّدوا لها قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا. أما رأيتم المأخوذين على غرة، المزعجين بعد الطمأنينة؛ الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهوات، حتى أتتهم رسل ربهم؛ فلا ما كانوا أمَّلوا أدركوا ولا إلى ما فاتهم رجعوا، بل قَدِموا على ما عملوا وندموا على ما تركوا، ولم يغنِ الندم وقد جف القلم، فرحم الله امرءاً قدم خيراً وأنفق قصداً وقال صدقاً، وملك دواعي شهوته ولم تملكه، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه.

عباد الله: إن العاقل يدرك أن ما مضى من أيامه نقص من عمره، وقرب من أجله، ودنا من انقطاع عمله، وأنه في أي لحظة من

زمنه يوشك أن يلقى ربه بما كان عليه من عمله، وكم يؤتى الحذر من مأمنه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» وفيه أيضاً عنه ﷺ قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار قبل ذلك، فخذوا الأهبة لآزف النقلة، وأعدوا الزاد لقرب الرحلة، ألا وإن خير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما انبنى على صالح النية، وكان صواباً على السنة، وأعلى الناس عند الله منزلة أخوفهم منه».

معشر المسلمين: من أمارات العقل الراجح وبشائر التوفيق للعمل الصالح أن يستدرك المرء بقية عمره ويتحلى في سيره للقاء ربه بأمور:

الأول: أداء ما افترض الله عليه، وتكميل كل فريضة بما شرع الله من نافلتها؛ تحبباً إلى الله وتقرباً إليه؛ ففي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه» فالتقرب إلى الله بالفرائض وتكميلها بالنوافل يحبب العبد إلى المولى، ومن أسباب حفظ الحواس والجوارح عما يضر في الدنيا والآخرة والفوز بجزيل العطاء والإجارة.

الثاني: ترك المخالفات واتقاء الشبهات؛ فإن مباشرة المعاصي تقسي القلوب، وتغضب علام الغيوب، وتعسر المطلوب، وهي أيضاً تعمي البصيرة، وتسبب الحيرة، وتنقص الأرزاق، وتذهب المودة

والوفاق، وتقصم الأعمار باتفاق، فإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، وكم يحرم الناس الفقه في الدين بسبب المعاصي؛ فإن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصٍ. وناهيكم بما توعد الله به المصرين على الذنوب من أنواع العقوبات التي قد تعجل في الحياة وقد تؤجل إلى ما بعد الممات.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «**من يرد الله به خيراً يصب منه**». وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**».

معشر المسلمين: أما الثالث من هذه الأمور فهو كثرة الصدقات والإحسان إلى عموم البريات؛ فإن الصدقة تطفىء الخطيئة، وتطفىء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء، ويصرف الله بها أنواعاً من البلاء، وهي أيضاً من أسباب تنفيس الكروب، وتحصيل جليل المطلوب، وتكفير الكثير من الذنوب، مع أنها ظل لصاحبها في موقف القيامة ووقاية له من النار، فليكثِّف الوقاية.

وأما الإحسان إلى عموم البريات فيكفي في بيان فضله أن الله يجزي الإحسان بالإحسان، وأنه سبحانه يحب المحسنين ومع المحسنين، ولا يضيع أجر المحسنين لا في الدنيا ولا يوم الدين، وخص المحسنين بأعلى درجات الجنان.

عباد الله: وأما الأمر الرابع الذي ينبغي أن يراعيه المسلم في سيره إلى الله فهو اعتزال فضول المجالس التي يكثر فيها القيل والقال، وتنهش فيها أعراض الرجال، ويقوم المرء منها وقد خسر من

الحسنات أمثال الجبال؛ بسبب ما يجري فيها من الغيبة والبهت، والشماتة والنميمة والافتراء والجدل والمراء، وقد قال ﷺ: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»، وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وعرضه وماله».

ولما عُرِج به ﷺ مر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فسأل عنهم، فقيل له: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم؛ ولما مر ﷺ بقبرين قال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام».

وقال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء منه فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» رواه البخاري، وقال ﷺ: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة؛ ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» رواه مسلم.

عباد الله: اتقوا الله فإنها خير لباس، ودعوا ظلم الناس تأمنوا الإفلاس، واجتهدوا في صالح العمل قبل مفاجأة الأجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾[١].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة المنافقون، الآيات: ٩ ـ ١١.

اغتنام العمر في الحضر والسفر

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قدر الأعمار وقضى بتصرمها وفنائها بمضي الليل والنهار، فمنقلب إلى الجنة ومنقلب إلى النار، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١].

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبى، الذي أوصى أمته بالتقوى، والتزود للدار الأخرى، وحذرهم من الاغترار بالحياة الدنيا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله واغتنموا حياتكم وفراغكم وسائر نعم الله تعالى عليكم في الأعمال الصالحة، فإنها التجارة الرابحة، وأهلها أهل للعفو من الله تعالى والمسامحة.

عباد الله: تذكروا أن الحياة لحظات محدودة، وأنفاس معدودة، والأحياء فيها يمضون اللحظات، ويستنفدون الأنفاس المعدودات. وهكذا تطوى الأيام، وتفنى الأعمار، وينتقل العُمّار من هذه الدار إلى دار القرار، فإن الله جعل الليالي والأيام مواقيت للأعمال، ومقادير للآجال، وستنقضي جميعاً، وتمضي سريعاً، ومتى حضر الأجل فالمرء عن هذه الدار مرتحل، ومختوم له بآخر ما عمل،

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

ومرتهن بما كسب، وتطوى صحفه على ما فيها قد كتب ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾(١).

عباد الله: اغتنموا فرص الحياة وبقية الأعمار في استباق الخيرات، والمبادرة إلى الأعمال الصالحات، والتوبة إلى الله تعالى عما علمتم وما لم تعلموا من الخطيئات وسالف الزلات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾(٣).

فهذه الآيات من أقامهن دخل الجنة، وذلك أن الله تعالى لما

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦.
(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ١١.

وصف المؤمنين وأثنى عليهم بأخلاقهم الحميدة وأفعالهم الرشيدة ضمن لهم الجنة ﴿أُولَٰئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٢﴾[١].

عباد الله: إن الاستقرار في الأوطان، والصحة في الأبدان، من النعم العظيمة، والمنح الكريمة، التي ينبغي أن تغتنم بجليل الطاعات، وعظيم القربات، وأن تعمر بها الأوقات، لتطيب الحياة، ويحسن المستقر والنُزُل بعد الممات، ولتصبح العبادة سجية للمرء يكتبها الله له تامة، ولو عرض له ما يشغله عن كثير من حقوقها، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**»، رواه الترمذي.

فينبغي للعاقل أن يلازم الاستقامة وأن لا يسافر إلا لأمر دعت الحاجة إليه، أو ترجحت المصلحة فيه، ومتى انقضى غرضه من السفر فليرجع ولا يتأخر، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع إلى أهله**» وكان ﷺ إذا استوى على بعيره خارجاً إلى السفر كبر ثلاثاً ثم قال: «**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطو عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد**» وإذا رجع قالهن وزاد: «آيبون، تائبون عابدون، لربنا حامدون» رواه مسلم.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٦١، ٦٢.

أيها المسلمون: ولما كان السفر مظنة المشقة والخطر، خفف الله فيه كثيراً من العبادات عما هي عليه في الحضر، فشَرَع قَصْر الصلاة الرباعية، وترك السنن الرواتب ما عدا الوتر وركعتي الفجر، وأباح الفطر في رمضان والقضاء من أيام أخر، كل ذلك رحمة منه بعباده، فإنه أرحم بهم من أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾[1].

فينبغي للعقلاء أن يرحموا أنفسهم فلا يعرضوها للأخطار ولا إلى سهر الليل والتعب غير المعتاد في النهار، إلا في أمر ندبهم الله تعالى إليه أو رخص لهم فيه، فما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من العافية، والسلامة لا يعدلها شيء، ومتى ما ترجحت المصلحة في السفر فليحسنوا القصد وليتقوا الله في العمل ولا يبغوا على أحد من خلق الله عز وجل، وليعلموا أن الله معهم أينما كانوا فلا يظهروا الكفران أو يبارزوه بالعصيان، فإن الله تعالى يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله عليه، وإن الله تعالى للظالمين بالمرصاد، فإنه سبحانه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

التذكير بالنعمة والتنبيه على أخطاء أصناف من الأمة

الحمد لله عظيم الامتنان، جزيل الإحسان، ذي العطاء الواسع والنعم الجليلة الحسان. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه من كل ذنب واستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا ربكم في السر والعلانية، واغتنموا أعماركم الفانية ونعم الله الضافية فيما يجعلكم في الدار الباقية ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[1]، فإن الله تعالى قد خلقكم لتعبدوه، وأحسن خلقكم لتحمدوه، ووهبكم العقول والأسماع والأبصار، وأسبغ عليكم النعم لتشكروه، فاجتهدوا في ذلك وحسبكم فقد علم أن لن تحصوه؛ ولذا أعطاكم الكثير ورضي منكم الصالح اليسير، ووعدكم المغفرة والأجر الكبير.

عباد الله: إنه يجب علينا أن نتذكر ما منَّ الله به علينا من أصناف النعم، وأن نستشعر ما خصنا به منها من بين الأمم، وأجلُّ

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٢١ ـ ٢٤.

ذلك نعمة الهداية إلى الإسلام وتحكيم الشرع في بلادنا، فما أعظم الإنعام، ونعمة الاستقرار والأمن على النفوس، والأهل والأولاد، والأموال والأعراض، على نحو قل نظيره في الأزمنة السابقة والحاضرة في سائر الأمصار.

فاشكروا الله سابغ نعمته، واستعملوها في طاعته، ولا تجعلوها سُلَّماً لمعصيته، ولا تضيعوا نفيس أوقاتكم وعزيز أعماركم في الغفلة عن حقه، والتعرض لسخطه بمخالفته ومشاقته، حذراً من النقمة، فإن المؤاخذة على قدر النعمة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾[١].

فاتقوا الله عباد الله، ولا تشتغلوا بالرزق عن حق الرازق، ولا تتبعوا أهواءكم فتعصوا الخالق، ولا تضيعوا الصلوات وتتبعوا الشهوات؛ فإن ذلك شأن كل منافق، بل أطيعوا المعبود فامتثلوا أمره، وقفوا عند الحدود، واحذروا هول يوم تشيب منه الرؤوس، وتطيش العقول، وتضطرب الجوارح، وتقشعر الجلود.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

(١) سورة القصص، الآيات: ٥٨ ـ ٦١.

﴿شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾[1].

جعلنا الله وإياكم من الشاكرين السعداء، وأعاذنا وإياكم من حال وأعمال ومآل الكفرة الأشقياء.

أيها المسلمون: إن كثيرين من الناس اليوم يضيعون أوقاتهم ونفيس أعمارهم فيما فيه مضرتهم وخسارتهم، فتجد أحدهم لا يأتي الصلاة إلا دبراً، ولا يذكر الله إلا هجراً، فإن جاء المسجد فكأنه في سجن، وإذا دخل الصلاة فكأنه في وثاق، يكرر النظر إلى الساعة، ويود سرعة إقامة الصلاة وكأنه هو الجماعة، فإذا دخل الصلاة رأيته يتملل ويسابق الإمام، وإن صلى وحده نقر الصلاة كنقر الغراب، ثم ينصرف من الصلاة بلا ذكر، ولا نافلة يستكمل بها الأجر، إلى غير ذلك من مظاهر الاستهانة بالعبادة أو أدائها بحكم العادة، وكم يضيع هذا الصنف من الأوقات في متابعة التلفاز والمباريات، وكم يبذلون من الأعمال في مجالس القيل والقال، أو طلب الدنيا وجمع محرم المال. فأين حال هذا الصنف من حال من يبكي عند الموت فقيل له ما يبكيك؟ فقال: أبكي على ليلة ما قمتها، ويوم ما صمته.

أيها المسلمون: وكم من الناس يجعلون فرص الإجازات ونحوها من المناسبات وقتاً لصرف النعم في البذخ والسرف في الأعراس والمتنزهات وغيرها من المناسبات، فلا يبالي ما أنفق ما دام

---

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٨.

يشبع ذلك رغبته وهواه، أو يحقق المفاخرة والمباهاة، إلى غير ذلك من مظاهر تضييع الأعمار وإهلاك الأموال، وإنهاك الأبدان فيما ينقص أو يذهب الإيمان، ويجلب على صاحبه عظيم الحسرة والخسران. وهذه ثمرة سوء الأقران، وطاعة أولياء الشيطان، فما أعظم ندم هؤلاء يوم التغابن، إن لم يتوبوا إلى الله في الظاهر والباطن ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[1].

فاتقوا الله عباد الله، واستدركوا أعماركم قبل فواتها، وقواكم قبل ضعفها، ونعمكم مدة بقائها، فيما يحببكم إلى الله ويحل عليكم رضاه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

المداومة على الأعمال الصالحة
أمارة على الخير وبشارة بحسن الخواتيم

الحمد لله الملك القدوس العزيز الحكيم، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيءٍ عليم، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأتوب إليه من كل ذنب وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي خلق الخلائق لعبادته وأمرهم بتوحيده وطاعته، وجعل اختلاف أجناسهم وصورهم وألسنتهم وألوانهم من آيات قدرته، وشرع الشرائع والأحكام، وفصل الحلال والحرام، ودعاهم بذلك إلى رضوانه وجنته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وإمام المتقين، وخليل رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم عباد الله ـ ونفسي ـ بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله بامتثال أوامره واجتناب معاصيه، والتصديق بإخباره، والوقوف عند حدوده، والاستقامة على ما يرضيه، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويجعل له من أمره يسراً، ويكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً.

عباد الله: اعلموا أن من أمارات التوفيق وآيات الشكر وعاجل البشرى بالخير للمرء أن يدوم على ما هداه الله له من العمل الصالح؛ فإن القليل الدائم من العمل كثير، ولذا كان نبيكم ﷺ إذا عمل عملاً

أثبته فكان عمله ديمة، وكان يخبر أن: «أحب العمل إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه وإن قل»، ذلكم لأن المداومة على العمل الصالح دليل على محبة الطاعة والرغبة في العبادة والتلذذ بمناجاة الله وحسن الظن بالله، والمنقطع عن العمل كالمعرض بعد الوصل.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم. وصح عنه ﷺ أنه قال: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر» متفق عليه. وفي سنن النسائي بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر وقال ﷺ لأبي ذر: «إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة» رواه الترمذي.

عباد الله: وهكذا كلما فتح الله للعبد أبواباً من العمل الصالح في رمضان؛ من نافلة الصلاة، والصدقات، والذكر، وقراءة القرآن؛ فينبغي المحافظة على جنسه ولو قليلاً، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله! لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل». وقال ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله». وقال ثوبان مولى رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود؛ فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة». وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة»، وجاء في المسند عنه ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بعبده الخير استعمله» قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «يفتح

له بين يدي موته باب عمل صالح حتى يقبضه عليه».

فهذه النصوص ـ يا عباد الله ـ وأمثالها كثيرة دلت على أن الله تعالى إذا فسح لعبده في الأجل، ومكنه من صالح العمل، ووفقه لحسن العمل، فقد أراد به خيراً ونوع له البشرى، وفي محكم التنزيل ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[1].

وبالمقابل فإن العودة إلى سيء الأعمال بعد الإمهال نذير بسوء الخواتيم، ومؤذن بالتعرض للعذاب الأليم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾[2].

فاتقوا الله معشر المسلمين، والزموا صالح الأعمال حتى تحضركم الآجال؛ لتلقوا الله على أحسن الأحوال؛ فإن من لزم عملاً ختم له، وفي الصحيح: «يبعث كل عبد على ما مات عليه». أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨٢، ١٨٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

الفراغ وما ينبغي فيه

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، العالم بكل ما يظهره العبد ويخفيه، أحمده سبحانه وأستغفره وأتوب إليه وأستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف الحق واتبعه، وعلق بعفو الله أمله وطمعه، وأسلم وجهه لله، ومن كان مع الله كان الله معه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جدد الحنيفية السمحة بعد الاندثار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واشكروا له ولا تكفروه، وتوبوا إليه من تقصيركم في حقه واستغفروه، واجتهدوا في طاعته طاقتكم فقد علم أن لن تحصوه، فاغتنموا فسحة الأجل في التقرب إلى الله تعالى بصالح العمل والتوبة إليه من التقصير والزلل، وتأملوا بصفاء الأذهان ما يمر بكم من عظات الزمان، وتدبروا قوارع القرآن ببصائر الإيمان، واحذروا التمادي في الفسوق والعصيان، فإنهما يقصمان الأعمار ويخربان الديار، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار. ألا وإن الإصرار على الاعتداء يوجب انتصار الأعداء، والتساهل في مخالطة أهل الفجور داعية إلى انتكاس الأمور، وإذا تراكمت الذنوب عميت بصائر القلوب وتعسر المطلوب، ألا وإن من الذنوب ذنوباً جعل الله عقوبتها زوال الإيمان والإمهال إلى أجل قريب

ومتاع قليل، وصاحبها يظن أن ذلك كرامة من الرحمن، فانظروا ـ رحمني الله وإياكم ـ لأنفسكم نظر الأخيار، وتزودوا من هذه الدار بالتقوى لدار القرار ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾(١).

عباد الله: ثبت في صحيح البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ**»، والمعنى أن الصحة والفراغ فرصتان نادرتان في عمر الإنسان ينبغي أن يعمرهما بأنواع العمل الصالح وطلب جليل المصالح، وهجر الذنوب والقبائح، فإن ذلك هو المتجر الرابح، أما من ضيعهما فلم يعمرهما بطاعة الله، أو شغلهما بمعصية الله، فذلك قد أضاع رأس ماله، وتحمل آثام الذنوب بمعصية علام الغيوب، فأشقى نفسه في حاله ومآله، وإنما تبين له الغبن يوم التغابن حين يظهر له أنه باع سعادة الأبد بشهوة عارضة وهوى جامح نهايتهما إلى نكد وشقاوة الأبد، فيندم حيث لا ينفع الندم.

عباد الله: إن الفراغ نعمة من نعم الله ـ وهو خلو الوقت من الشواغل، وخلو القلب من متاعب الدنيا وما فيه من مشاكل ـ فإذا منَّ الله على العبد براحة من ذلك مثل الإجازات ونحوها من المناسبات، فصفى له الزمان، وتسنى له الاجتهاد فيما يقوي فيه الإيمان ويتحقق به الشكران، فليصرف فراغه في مجالات الخير ومباشرة خصال البر،

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

ونحو ذلك مما يكسبه أجراً ويرفع له في العالمين ذكراً، ويدخر له في الآخرة ذخراً، من مزيد بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين والملهوفين والأيتام، والاجتهاد في طلب العلم، والأخذ بأسباب رفعة الدرجة وتكفير الإثم من عمرة لبيت الله الحرام وصلاة في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ودعوة إلى الله ونصح لعباد الله، وسعي للإصلاح بين الناس، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وزيارة لأخ يحبه في الله. فمن حقق ذلك كان أنفع الناس لنفسه وللناس.

فينبغي للعبد أن يجتهد فيما تيسر له من ذلك شكراً للنعمة، واغتناماً للمهلة، وشغلاً للوقت قبل مضيه في الخير؛ فإن الوقت في ذهاب، وإن لم يشغل بالخير شغل بما يضر في الدنيا ويوم الحساب، وقد أوصى ﷺ رجلاً من أصحابه فقال: **«اغتنم خمساً قبل خمس ـ يعني في طاعة الله ـ: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**.

وقال ﷺ: **«بادروا بالأعمال ـ يعني قبل الشواغل القاطعة والعوارض الحادثة ـ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟»**، وقال ﷺ: **«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**.

فشغل الوقت ـ يا عباد الله ـ بالأعمال الصالحة تجارة رابحة ومسارعة للخيرات، وقد وعد الله من كان كذلك بالمغفرة والجنات،

وهو أيضاً من أسباب صرف المحن والنجاة من الفتن، فاشغلوا أوقاتكم واغتنموا إجازاتكم بما جعله الله سبباً لسعادة الدنيا والأخرى والنجاة من نار تلظى، فعليكم عباد الله بالجد فيما هداكم الله له من الخير، وتنافسوا في خصال البر قبل أن يقع أحدكم في قبضة الموت؛ فيتحقق الفوت ويوافى الحساب وتنقطع الأسباب ويفترق الناس إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ١٨ ـ ٢٠.

الأخـــوة الإيمانيـــة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وهو الإله الحق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث من ربه بالحق والصدق. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى واشكروه على أن هداكم للإسلام وعمكم بسابغ الإنعام، واستقيموا على ملتكم الحنيفية الإبراهيمية وشريعتكم المحمدية، واعلموا أنكم لن تحققوا ذلك وتكملوه إلا بالمحافظة على مقتضيات الأخوة الإيمانية والعناية بما يقوم بها ويرسخها وينميها ويكملها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ

﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾[١].

فاتقوا الله كما وصاكم، واشكروه على ما هداكم، وكونوا إخواناً كما وصفكم، ولازموها حياتكم كما أمركم، يقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، ويقول سبحانه في صفة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[٣] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[٤].

عباد الله: إن الأخوة الإيمانية من أعظم نعم الله تعالى على عباده، ومن أَجَلِّ ما يتقرب به العبد إلى ربه يوم معاده، وهي لا تبقى ولا تقوى ولا تدوم إلا بالقيام بحقوقها والحذر من كل ما يضعفها ويفسدها، وما من شيء يحقق الأخوة الإيمانية ويقويها إلا أمر الله تعالى به في الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، وما من شيء يفسد ذات البين ويذهب الدين إلا وجاء النهي عنه في محكم القرآن وما أثر عن النبي ﷺ من بيان، قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٢ ـ ١٠٥.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

فبذل المال في مختلف الأحوال والعفو عن قدرة تحقيقاً لمصلحة، من خصال المحسنين ومن مقويات الأخوة بين المؤمنين، ولهذا ندب الله تعالى إليهما ورغب فيهما ووعد عليهما بالمحبة والمغفرة والجنة، وكذلكم إصلاح ذات البين والإشارة بالخير على المسلمين، كل ذلك من الخير ومما ينال به ـ مع الاحتساب ـ كما قال تعالى قولاً كريماً: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[1].

وكم في التنزيل من آية بينة محكمة في نهي العباد عما يفسد ذات البين ويحدث الجفوة بين المؤمنين، كما نهى الله تعالى في سورة الحجرات عن السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، والتجسس، والاغتياب، والتفاخر بالأحساب والأنساب، وتلقي الركبان، والبيع على البيع، والخطبة على الخطبة، والنجش والغرور والغش، كل ذلك لما ينتج عن هذه الأمور من إيغار الصدور والقطيعة والعداوة. وحث على التقوى في آيات متوالية تذكرة منه سبحانه لأولي الألباب.

أيها المسلمون: ومما جاء في السنة الصحيحة في الأمر بما يقوي الأخوة الإيمانية من خصال مباركة إذا أديت بإخلاص وهي قوله ﷺ: **«خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة»** متفق

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

عليه، وفي رواية لمسلم: «حق المسلم على المسلم ست» فذكر هذه الخصال وزاد: «وإذا استنصحك فانصح له»، وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال بسبع، فذكرها وزاد: «وإبرار المقسم، ونصرة المظلوم» لما تثمره هذه الخصال من غرس المودة وتحقق المحبة، ولما يتحقق على ذلك من التناصح والتناصر والتعاطف والتراحم والتواصي بالحق والصبر والمرحمة وتوثيق روابط الإخاء بين أفراد الأمة. فعليكم عباد الله بهذه الخصال وأخلصوا فيها لذي الكرم والجلال ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

في التذكـــير

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ظهير ولا معين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وسيد المرسلين وأكمل الخلق أجمعين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله، وتقربوا إليه بما يحبه ويرضاه؛ فإن أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه، وعرف عدوه فعصاه، وعرف دار إقامته بعد الموت فأصلحها، وعلم سرعة رحلته إليها فتزود لها، ألا وإن خير الزاد التقوى، وخير العمل ما تقدمه صالح النية، وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه، وأرجاهم له، وأخشاهم له، فإن علامة العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور، ألا وإن من في الدنيا ضيف، وما بيده عارية، وإن الضيف مرتحل، والعارية مردودة، والدنيا سريعة الذهاب، وشيكة الانقلاب، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها؛ فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين.

أيها المسلمون: ومما روي من مواعظه ﷺ قوله: «نعمتان

مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات، فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها للحاجة من المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً ـ يعني مسافراً ـ إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة من غير محرم.

عباد الله: لقد اشتملت هذه الموعظة النبوية الكريمة التنبيه على ثلاثة أمور:

الأول: التنبيه على عظم نعمة الله على العبد إذا جمع له الصحة والفراغ؛ فإن الإنسان قد يكون صحيحاً؛ ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً. فإذا جمع الله للعبد الصحة والفراغ فقد أسبغ عليه النعمة، وأقام عليه الحجة، فينبغي له أن يشكر الله تعالى على نعمته باستعمال صحته وفراغه في طاعته، والحذر من جعلهما سلماً إلى معصيته، فإن الصحة والفراغ هما رأس ماله؛ فإن عامل الله بهما بالإيمان به وطاعته ومجاهدة عدوه ربح خيري الدنيا والآخرة، وإن ضيعهما فلم يستعملهما فيما ينفعه مَضَيا خسارة عليه، لأنه لم يستعملها فيما خلقا له. وإن أمضاهما في معصية ربه ازداد مصيبة إلى خسارته، لأنه قارف فيهما ما يضره، وإنما يظهر ذلك يوم التغابن فإن الدنيا مزرعة الآخرة، فمن زرع خيراً ربح أجراً، ومن زرع شراً جنى إثماً، فمن استعمل صحته وفراغه في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، فمن لم يستعمل

صحته وفراغه في التجارة مع رب العالمين فقد ضيع رأس ماله وأرباحه؛ وذلك هو الخسران المبين. وأكثر الناس في هذا واقعون وعما ينتظرهم غافلون.

الثانية: أن على العبد أن يقسم وقته، وأن يوظف ساعاته فيما يعود عليه بالنفع في عاجل أمره وآجله.

فجزء منه لأداء واجب الطاعات وما شرع الله تكميلاً لها من النوافل والمستحبات.

وجزء منه لمحاسبة نفسه ومراجعة ما مضى من عمله، ليغتبط بما مضى من الخير ويدوم عليه ويستزيد منه، وليعتذر من التقصير ويقلع عنه.

وجزء منه يتفكر فيه في خلق الله وتدبيره لملكه وأيامه في عباده؛ ليكون ذلك حافزاً له على الخوف من مقام ربه ومجانبة هوى نفسه، وزاجراً له عن الطغيان والبغي وإيثار الحياة الدنيا.

وجزء منه يشتغل فيه بمصالح دنياه، وما أباحه له الله، والأفضل أن يقرن بذلك النية الصالحة، وهي أن يستعين بالمباحات على الطاعات، حتى تكون عاداته عبادات، ونفقاته قربات.

وفي جميع أوقاته عليه أن يخاف من المعبود، وأن يقف عند الحدود، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، ولكل ملك حمى وحمى الله محارمه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

الثالثة: أن على العبد أن لا يسافر إلا لمصلحة راجحة؛ فإن السفر قطعة من العذاب، فلا يسافر إلا لاستزادة من طاعة لا تحصل إلا به، كالحج والعمرة، وطلب العلم، والجهاد في سبيل الله، وصلة الأرحام، وزيارة الإخوان، ومصالح أهل الإسلام، أو في طلب معيشة؛ كالسفر من أجل تجارة، أو تعلم صنعة، أو جلب منفعة له أو لأهل بيته من صيد أو حطب أو كلأ ونحو ذلك.

ولا بأس في السفر من أجل النزهة والفرجة والأنس ما لم يترتب على ذلك معصية؛ كمصاحبة أهل السوء، أو مخالطة العصاة، أو تضييع الصلوات ونحوها من الواجبات، أو التعرض لخطر على الدين أو العقل أو البدن.

فاتقوا الله عباد الله، واعمروا أوقاتكم فيما تربحون به مع الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ ، ٣٠.

الظـــلم

الحمد لله الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين العباد، وتوعد الظالمين بالإبعاد وبالأخذ الشديد واللعنة والخلود في النار وبئس المهاد، أحمده سبحانه وهو الملك القدوس السلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق الخلق، ومالك الملك، الإله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أنقذ البشرية من الظلم والإثم، وهداهم به إلى البر والخير، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله؛ فإن أكرمكم عند الله أتقاكم، واحذروا الظلم فإنه موجب للعقوبة وسبب من أسباب الشقاء والخسران في دنياكم وأخراكم، ولا تغتروا بإمهال الله للظالمين؛ فإن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[1]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾[2]، فالظالم وإن جاءته

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٩.

أموره على ما يريد أو تمتع بما كتب الله له من الأيام وهو جبار عنيد ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[(١)]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[(٢)].

عباد الله: لقد توعد الله الظالمين بوعيد شديد، وتهددهم بتهديد أكيد، يزجر العقلاء عن الظلم، وبين لهم ما فيه من الإثم، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٩٥﴾[(٣)]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾[(٤)]، وقال جل ذكره: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥٧﴾[(٥)]، وقال جل وعز: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٥١﴾[(٦)]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٨﴾[(٧)] ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ﴾[(٨)].

عباد الله: الظلم مرتع وخيم وجرم عظيم، عاقبته مفجعة وعقوبته موجعة، فأهل الظلم متوعدون بقصم الأعمار وخراب الديار، وليس لهم يوم القيامة ـ إن لم يتوبوا ـ إلا النار ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾[(٩)]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٨﴾[(١٠)]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ

---

(١) سورة الفجر، الآية: ١٤.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٥.
(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٥٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.
(٧) سورة هود، الآية: ١٨.
(٨) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٩) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(١٠) سورة الحج، الآية: ٤٨.

وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾[(٢)].

ولا يظن الظالم إذا طالت أيامه وحصل مرامه أنه في أمنة من العقوبة، بل ذلك الإمهال لتستكمل الأعمال وتستنفد الآجال، قال ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، وكم في قصص الغابرين وما أحله الله بالظالمين المعاصرين من جليل العبر وبليغ المواعظ لمن ادَّكر.

ومن الظلم ظلم الناس بمنع حقوقهم أو بخسها والمماطلة فيها، أو التعدي عليهم في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم أو أبشارهم، فكل ذلك ظلم محرم، ومما يترتب عليه عظيم المآثم.

ثبت في الحديث الصحيح القدسي أن الله تعالى قال: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً فلا تظالموا»، وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»، فأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء، ولا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً، قال تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[(٣)].

وكم تناقلت الأجيال وشاهد الناس فيما عاشوا من الأيام والليالي ما أحل الله بالظالمين من الغابرين والمعاصرين؛ من عظيم العقوبات، وألوان المثلات، من جليل العبر وبليغ العظات، لمن عقل وادَّكر

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٩.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[(١)].

عباد الله: أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو دركات وهلكات بعضها أكبر وأخطر وأضر وأشر؛ قال ﷺ: **«لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»** ذلكم لأن أخوة الدين هي أوثق الصلات بين المؤمنين وأحكمها عقداً وأقوى مودة، فلا تنفصم عراها ولا تغيرها الأحداث، ولا تختص بقوم دون آخرين، ولا بزمان دون زمان، أو مكان دون مكان، فأخوة الدين حقها فوق كل شيء، وللمسلم على أخيه أن لا يظلمه لنفسه ولا لغيره، ولا يسلمه لمكروه يحل به أو مصيبة تنزل به، بل يشاركه أفراحه وأتراحه، ويواسيه في سرائه وضرائه، ويعزه إذا ذل، ويكرمه إذا حل، ويشيعه إذا ولى، وينصره إذا ظلم، ويكسبه إذا عدم، وإن أحسن شكره، وإن أساء عذره.

ومِن أكل أموال الناس بالباطل أكلُ الرشا والإدلاء به لدى القضاة والحكام ومسؤولي الدوائر الحكومية، فكل ما يؤخذ للمحاباة في الأحكام، والتلاعب بالأنظمة، والحمية الجاهلية، وإعطاء الشخص ما ليس له على حساب غيره، كله من السحت الحرام الذي يوجب الآثام ويُصْلي صاحبه النار، فلا تظن أيها الظالم الخائن أن الله غافل عنك، ولا أن الليالي والأيام تمضي دون أن تعضك بنابها، والناس مظلومون يحاربونك بسهام الليل، ولذا قال ﷺ لمعاذ: **«اتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**.

وما ظهرت الفتن وتوالت المحن في المجتمعات وزالت الدول

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٦

في قصير اللحظات إلا من آثار الجور وبسبب الظلم.

ومن أشد أنواع الظلم وأخطرها عاقبة عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والحيف على الزوجات، وسوء تربية البنين والبنات، كل ذلك من عظيم الظلم وموجبات العقوبة والإثم.

ولو أخذ المسلمون بتعاليم دينهم، والتزموا أحكام شريعته في العبادات والمعاملات؛ حفظت حقوقهم وصلح ما بينهم، وربحت تجارتهم في دنياهم وآخرتهم، وبورك لهم في أرزاقهم، وتيسرت أمورهم، لكن مخالفة الشرع جفاء وظلم للعباد.

ومن الظلم مطل الأغنياء؛ فمن أخّر حقاً عليه من دين أو قرض أو صداق ـ مع قدرته على أدائه ـ فقد ظلم، قال ﷺ: «مطل الغني ظلم».

فالواجب على أهل الإسلام التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، والبعد عن الظلم، فمن كان عنده لأخيه شيء فليؤدِّه إليه غير مماطل ولا متساهل، ومن كان له عند أخيه شيء فليأخذه غير مشاق ولا متعنت ولا مستحل لما حرم الله عليه؛ فإن خير الناس أحسنهم قضاءً في المعاملة بل كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾[1].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

الظلم.. حقيقته وأنواعه وخطره

الحمد لله الذي حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين العباد، وتوعد الظالمين بالأخذ الشديد واللعنة والنار وبئس المهاد، أحمده سبحانه على نعم كثيرة غزيرة جلت عن الحصر والتعداد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجبار القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ويعلم ما تخفي الصدور وما أكنته الضمائر. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الكريم والرسول العظيم، الذي بشر وأنذر، وزجر عن الظلم وحذر ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[١].

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله؛ فإن تقوى الله لكم خير الزاد وخير لباس، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، فاتقوه واذكروه كما هداكم، وجعلكم من خير أمة أخرجت للناس، واحذروا الظلم فإنه أعظم الإثم وأكبر الجرم، وموجب للشقاوة والخسران، وكم جاء بشأنه من الوعيد في محكم القرآن، وما صح عن المصطفى ﷺ من بيان، قال

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾[٢].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[٣]، وصح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**».

عباد الله: الظلم شؤم، وعافيته غرم، فإنه يقصم الأعمار، ويمحو الآثار، ويخرب الديار، وليس لأهله يوم القيامة إن لم يتوبوا إلا الخزي وعذاب النار، فلا يغتر الظالم ولو جاءته أموره على ما يريد، ولو طالت أيامه وهو جبار عنيد؛ فإن الله تعالى قد توعد الظالمين بوعيد شديد، وتهددهم إن لم يتوبوا بتهديد أكيد، زجراً للعقلاء عن الظلم وتنبيهاً لهم على ما فيه من الإثم والشؤم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[٥]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[٦].

لقد توعد الله الظالمين بالضلال، ونفى عنهم الهدى، فقال:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٩.
(٢) سورة النمل، الآية: ٥٢.
(٣) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.
(٥) سورة الفجر، الآية: ١٤.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[٢].

وأخبر أنه سبحانه لا يحب الظالمين بل يلعنهم فقال: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[٤]، وختم جل شأنه للظالمين بالنار وبئس القرار، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[٥].

وكم تناقلت القرون والأجيال، وشاهد الناس فيما عاشوه من الأيام والليال، مما أحل الله بالظالمين المتجبرين من الغابرين والمعاصرين، من فظيع العقوبات وألوان المثلات التي صاروا بعدها أثراً بعد عين وعبرة للمعتبرين ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾[٦]، ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[٧].

أيها المسلمون: أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو دركات مهلكات متفاوتة في الكبر والضرر والإثم. فأكبر الظلم وأعظمه الشرك بالله تبارك اسمه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.
(٤) سورة هود، الآية: ١٨.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٦.
(٧) سورة الحج، الآية: ٤٥.

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[١]، وفي الصحيح: سُئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

فالشرك بالله بدعوة غيره معه، أو تسوية أحد من خلقه به في شيء من خصائصه هو أعظم الذنب وأكبر الظلم، فمن دعا غير الله، أو ذبح لغير الله، أو استعانه أو استنجد به فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد أشرك بالله الشرك المخرج من الملة المحبط للعمل، الذي توعد الله من ارتكبه أن لا يغفر له حتى يتوب منه، وتوعد أهله بقوله: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[٤]

فالشرك الأكبر يحبط العمل، ويخرج من الملة، ويحرم الجنة على صاحبه ويخلده في النار، وهذا يدل على شؤمه وعظم جرمه وسوء عاقبته وإثمه، كيف لا ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[٥].

أما الشرك الأصغر فهو كل ذنب سمي في نصوص الكتاب والسنة شركاً ولم يصل إلى حد الأكبر؛ كيسير الرياء، وتسوية الله بخلقه لفظاً كقول ما شاء الله وشئت وهو شرك الذرائع والوسائل. فكل من عمل أو قال شيئاً مما يبتغى به وجه الله، وقصد به غير الله،

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١.

فقد جعل نفسه تحت طائلة هذا الوعيد، وعرض نفسه لهذا التهديد الأكيد؛ لأن الشرك الأصغر وسيلة وباب ينقل إلى الشرك الأكبر، وداخل في مسماه، ويكفي صاحبه شؤماً أن قلبه التفت بشيء من حق الله إلى غير الله.

عباد الله: ومن أشد أنواع الظلم وأعظمها في الإثم عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وقتل النفوس بغير حق الإسلام، والحيف على الزوجات، وسوء تربية البنين والبنات، والجور عليهم بتفضيل أحد على أحد بشيء من الميراث، أو وصية جائرة، أو غير ذلك مما يورث الإحن، ويوقظ الفتن؛ فكل ذلك من الظلم الذي حرمه الله وتوعد عليه بشديد العذاب.

أيها المسلمون: ومن الظلم العظيم ظلم النفس بترك الواجبات، أو فعل المحرمات، أو التفوه بالفاحش من الكلمات، فإن هذا ظلم لها بمباشرة هذه الأمور؛ فإن من فعل ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر الله به عمداً فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقوبات التي توعد الله بها المتعدين لحدوده، المخالفين لحكمه وشرعه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

أيها المسلمون: ومن أخطر الظلم ظلم الناس بمنع حقوقهم أو بخسها، والمماطلة في أدائها، أو التعدي عليهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وسائر حرماتهم؛ فكل ذلك ظلم محرم موجب للإثم، قال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»، وحين خطب ﷺ الناس بمنى يوم النحر في حجة الوداع قال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت**»، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه. فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾[1]، وأما الظلم الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدبر ـ يعني يقتص لبعضهم من بعض**».

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

الوقيعة في أعراض الناس

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا عباد الله! اتقوا الله الكبير المتعال، وحافظوا على ما يسر الله لكم من صالح الأعمال، وإياكم والتعدي على الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم؛ فإن ذلك من الظلم العظيم الذي يذهب بالحسنات، وقد يحمل صاحبه ما لا قِبَلَ له به من الأوزار والسيئات، فقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» رواه مسلم.

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء منه فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات**

صاحبه فحمل عليه».

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على حسناتكم التي يسرها الله لكم، لا تبذلوها لغيركم بسبب المظالم والوقيعة في أعراض الناس.

أيها المسلمون: إن كثيرين من الناس قد ابتلوا بالوقيعة في أعراض الناس بالغيبة والبهت والنميمة وسوء الظن، وهذه الأمور كلها محرمة ومعدودة من كبائر الذنوب بإجماع المسلمين؛ فالوقوع فيها من تزيين الشيطان، وأمارات نقص الإيمان، وموجبات الخسران؛ لأن الله تعالى شرط لتكفير السيئات اجتناب كبائر الموبقات فقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[١].

وصح عن النبي ﷺ أنه سئل عن الغيبة فقال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»، فالواقع في أعراض الناس دائر بين الغيبة والبهت وكلاهما شر وضرر.

وفي سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**».

قال ابن القيم رحمه الله: فالذي يؤذي الناس بكلامه الذي يخرج من شفتيه كان عذابه في البرزخ قص شفتيه بمقاريض من نار.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، أن النبي ﷺ مر على قبر يعذب صاحبه فقال: «إن هذا يأكل لحوم الناس»، وأخرج أيضاً عن أبي بكرة رضي الله عنه بسندٍ رجاله موثوقون: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، وبكى، وما يعذبان إلا في الغيبة والبول». قال الحافظ: وإسناده صحيح، وقال: وأكل لحوم الناس يصدق على النميمة والغيبة.

وقال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء. وروى أبوداود والنسائي بسند جيد أن النبي ﷺ لما رجم ماعزاً في الزنا قال رجل لصاحبه: هذا رُجِمَ رجم الكلب، فمر رسول الله ﷺ ـ وهما معه ـ بجيفة فقال لهما: «انهشا فيها» فقالا: ننهش من جيفة، فقال: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه».

عباد الله: وأعظم ما تكون الغيبة خطراً غيبة الشيوخ والأئمة وطلبة العلم. قال ابن عساكر رحمه الله: من ابتلاه الله بغيبة العلماء ابتلاه بموت القلب. وقال شيخ الإسلام: كلما كان الرجل أعظم إيماناً كان اغتيابه أشد. وقال الحسن رحمه الله: والله، لَلغيبة أسرع فساداً في دين العبد من الأكلة في الجسد.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

التحذير من أذية المؤمنين والناس أجمعين

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ إقراراً به وتوحيداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى واحذروا أذية المؤمنين، والإساءة إلى الناس أجمعين، إلا بحق ظاهر، قام عليه الدليل البين السالم من المعارض من الكتاب والسنة، والمأثور عن السلف الصالح من هذه الأمة؛ ليكون لكم برهاناً قاطعاً وحجةً دافعةً حين تختصمون عند ربكم، فتؤدى الحقوق إلى أهلها، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وتؤخذ المظالم من الظالمين فترد إلى أهلها في يوم لا درهم فيه ولا دينار، بل إن كان للظالم عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه. رواه البخاري.

وفي رواية عند مسلم: «**فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**». وحينئذٍ ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ

يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[(١)]، ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾[(٢)].

عباد الله: إن أذية المؤمنين والناس أجمعين بغير حق من أشد المظالم، وأعظم الجرائم، وأكبر المآثم التي توعد الله أهلها بالوعيد الأكيد، وتهددهم بالعذاب الشديد، في مثل قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[(٣)]، وقوله سبحانه في الحديث القدسي الصحيح: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب» الحديث، أي أعلمته أني محارب له. وما ثبت في صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله ـ أي في أمانه وضمانه ـ فلا تسيئوا إليه بغير حق، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم».

فالذي يؤذي المؤمنين خاصة والناس عامة بغير حق على خطر من غضب الله وانتقامه، وما توعد به الظالمين في الدنيا ويوم القيامة، حتى ولو كان المؤذي من أفاضل الناس وخيارهم؛ فقد ثبت في صحيح مسلم أن أبا سفيان مر ـ في حال كفره ـ على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال أبوبكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧.
(٢) سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

ﷺ فأخبره، فقال النبي ﷺ: «يا أبابكر! لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك». فأتاهم أبوبكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي. وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لمعاذ وقد بعثه إلى اليمن: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

أيها المسلمون: وإيذاء المؤمنين وغيرهم من الناس بغير حق له صور منصوص عليها في القرآن، وما أثر عن النبي ﷺ من بيان، ويعظم الإيذاء ويتضاعف الإثم وتشتد العقوبة، كلما عظمت حرمة الشخص، أو الزمان، أو المكان، أو المناسبة.

ولقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من غير وجه أن النبي ﷺ قال للناس في يوم النحر في أشرف زمان ومكان وجمع حضره ﷺ، وبعد أن قرر الناس على حرمة البلد والشهر واليوم: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم ـ وفي رواية قال: وأبشاركم ـ عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب» الحديث.

فمن أعظم أذية المؤمنين والناس بغير حق قتلهم بغير حق. قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[2]،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾[1]، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»** رواه البخاري.

أيها المسلمون: وإذا كانت هذه حرمة دم المسلم فإن لعنه وهجره وتفسيقه ورميه بالكفر بغير حق فهو كقتله، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: **«ولعن المؤمن كقتله»**، وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: **«إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبوابها دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعن فإن كان أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها»**، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»** متفق عليه.

وفي البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا يرمي رجل رجلاً بالفسق والكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»** وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: **«المتسابان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم»**، وفي سنن أبي داود عن أبي خِرَاشٍ السلمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»**، وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»**.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

أيها المسلمون: أما أذية المسلمين بأخذ أموالهم فهي من أعظم الظلم وأكبر موجبات الإثم. قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» وقال ﷺ: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة». فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: «وإن كان قضيباً من أراك».

أيها المسلمون: ثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»، وقال ﷺ: «إنكم تختصمون ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته ـ يعني أوضح وأبين ـ من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإني أقطع له قطعة من النار» متفق عليه.

وقال ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً» رواه البخاري.

وأخبر ﷺ أن الدين لا يكفره القتل في سبيل الله وذلك لأنه من حقوق الناس.

فمن أخذ للناس شيئاً بغير حق فهو ظلم جزاؤه النار، سواء أخذه من طريق القوة والقهر، أو عن طريق الخديعة والحيلة، أو عن طريق الرشوة، أو بواسطة اليمين الفاجرة، أو بحكم القاضي إذا أخطأ اجتهاده، والمدعي يعلم أنه مبطل، أو كان عن طريق ظلم الناس في الاعتداء على أبدانهم وانتهاك حرماتهم، فكل ذلك ظلم يكون الظالم به عرضة لعقوبة ظلمه في الدنيا والآخرة أو فيهما معاً. فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الظلم؛ فإنه حسرة وندامة وظلمات يوم القيامة.

ومن ذلك الاستطالة في أعراض الناس بالغيبة والبهت والنميمة والتعدي عليهم بالضرب والشتم وأنواع انتهاك الحرمات، فكل هذه من الظلم التي لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الصوم، بل لا تغفر للظالم حتى يغفر له المظلوم، فإن دواوين الظلم من الدواوين التي لا يترك الله منها شيئاً بل يؤاخذ بها إلا إذا تنازل عنها أصحابها، فكم من شخص يظن أنه كثير الحسنات ثم يأتي يوم القيامة مفلساً من بين البريات بسبب ما تحمل من الظلامات، جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«لتؤدون الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

شكر النعم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أحمده سبحانه ولا أحصي ثناءً عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جامع الناس ليوم لا ريب فيه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكمل مرسل من ربه وداعٍ إليه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان على الهدى ودين الحق الذي كانوا عليه.

أما بعد:

فيا عباد الله! اذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم، وأن الله بما تعملون بصير ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[(١)]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[(٢)].

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[(٣)]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾[(١)]، و﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٣٥﴾[(٢)].

عباد الله: إن ما سبق التذكير به في الآيات التي سمعتم هي نعم لله علينا جلَّى، ومواثيق أخذها الله علينا حقها أن توفَّى، فأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، واشكروا نعمه ما استطعتم، ألا وإن الشكر قيد تحفظ وتنمى به النعم الحاصلة، وسبب وثيق تستجلب وتستزداد به النعم الواصلة، فما حفظ موجودها بمثل الشكر، وما طلب مفقودها بمثل الدعاء والذكر، وما أزيلت النعم الحاضرة بمثل الكفر، ولا صرفت القادمة بمثل الجرأة على الذنب والإصرار على الوزر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[(٣)].

فاشكروا نعم الله عليكم واذكروا آلاءه عليكم، ولا تمكروا فيمكر الله بكم، ولا تتكبروا فيذلكم ويصغركم؛ فإن الله تعالى غيور على نعمه ويغار إذا انتهكت حدوده وحُرَمه، وقد جاءكم النبأ فيما قص عن أهل سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾[1]، وقص عليكم من نبأ آل فرعون: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾[2]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[3].

فاذكروا نعمة الله، عباد الله واشكروها ولا تستقلوها فتحتقروها وتكفروها، ولا تنسبوها إلى أنفسكم وأسبابكم فتفجعوا بزوالها وتحرموها.

أيها المسلمون: إن من أعظم موجبات الشكر، والعواصم من الكفر، أن يدرك العبد والمجتمع أن الله تعالى مَنَّ عليه فخصه بمزيد من التفضيل، وأنه محسود من كثير من الخلق بالفعل والقيل، وأن الحساد لن يهدأ لهم بال حتى يروا نعم محسودهم قد بدأت بالزوال، وماذا تنتظر ممن اعترض على ربك فيما خصك به وحباك أن يفعل بك إلا ما يجلب خسرانك وشقاك؟

ألا فاعلموا عباد الله أنكم محسودون من كثير من الدول والمجتمعات، على ما خصكم الله تعالى به من الدين والهدى، وسابغ النعمىٰ وصرف البلاء، فخذوا حذركم، واحفظوا نعمكم، واتقوا كيد من يسعى بإيصال الشر إليكم، فاعتصموا بالله، واعلموا أنه لا حول لكم ولا قوة إلا بالله، ثم بالتمسك بما أنزل عليكم من دينه

---

(١) سورة سبأ، الآيات: ١٥ ـ ١٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

وهداه، وتناصحوا وتعاونوا فيما بينكم كما أمركم الله.

أيها المسلمون: إن أهل الإسلام في هذا البلد وفي كل بلد، وفي هذا الزمن وفي كل زمن، يحتاجون فيما يحتاجون إليه واتقاء غضب ربهم لحفظ نعمهم ورد كيد عدوهم إلى أمور ثلاثة:

أحدها: الاعتصام بكتاب الله تعالى، والاستمساك بسنة نبيه ﷺ، والاستقامة على دين الله عن إخلاص لله تعالى، ومتابعة صادقة لنبيه ﷺ، والحذر من الشرك والبدع وطاعة أهل الأهواء والإصغاء إلى تلبيس الأعداء.

ثانيها: الاجتماع على ذلك والتعاون فيما بينهم ومع ولاة أمرهم على الخير والبر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، والبعد عما يضاد ذلك أو يقدح فيه. فواجب على المسلمين لزوم ذلك حتى الموت عليه.

الثالث: السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف، والنصيحة لهم ولعامة المسلمين في سائر الأحوال ومستجدات الظروف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]، وصح عن النبي ﷺ قوله: «**إن الله يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**»، وقال ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهم قلب امرىء مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من وراءهم**».

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

أيها المؤمنون: وإذا كان هذا هو الواجب على المسلمين في سائر الأوقات والأحوال فإنه يتأكد وجوبه حين تطل الفتن برؤوسها، ويظهر من كيد الأعداء للأمة ما يهدف إلى زوال نعمتها كما حدث في الأيام الماضية؛ فإن التسبب في إخافة الآمنين وإلحاق الأذية بالمؤمنين والمسلمين، وإتلاف الأموال والممتلكات، وتدمير المصالح والمؤسسات، وإشاعة البلبلة في المجتمع، وإشغال ولاة الأمور، من أعظم الجرائم وأكبر المآثم؛ لأنه معدود شرعاً من قبيل الإفساد في الأرض، ومواجهته بمثابة الفرض، فخذوا حذركم، وأطيعوا أولي أمركم، واتقوا كيد أعدائكم، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً، إن الله بما يعملون محيط.

ولقد توعد الله تعالى من يسعون في الأرض مفسدين، ويقطعون السبيل، ويخيفون الآمنين، ويتلفون الأموال، ويزهقون أرواح الأبرياء بأنواع من العقوبات موضحة في محكم الآيات كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[1] وما ذاك إلا لأن هؤلاء المفسدين يسعون في إزالة النعم، ويحادون المنعم بإثارة الفتن وخلق أسباب المحن، فحقهم أن يؤخذ على أيديهم، ويؤطروا على الحق أطراً، ويقصروا على الحق قصراً؛ فإن تحقق ذلك حفظت النعم، وإن أهمل ذلك حلت النعم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

فاشكروا ربكم، واستقيموا على دينكم، وأدوا حقوق ولاتكم، وخذوا على أيدي سفهائكم، وغيروا المنكر في مجتمعاتكم، واتقوا شؤم معاصيكم ومخالفاتكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الهدى والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

نعم الله والمحافظة عليها
صنائع المعروف تقي مصارع السوء

الحمد لله الكريم المنان، الدائم الجود والفضل والإحسان، أحمده سبحانه على نعم لا تحصى عدداً، وأسعد الناس بها من استعان بها على طاعة مولاه ولم يشرك به أحداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الشفيع لأمته يوم الدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بخير وإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق التقوى، واشكروا نعم الله عليكم؛ فإنها كثيرة وغزيرة ومتوافدة تَتْرىٰ. فاتخذوها سلماً للفوز بعظيم الأجور، والدرجات العلى، والنعيم المقيم، ولا تملوها فتستهينوا بها وتستقلوها وتحتقروها فتكفروها؛ فإن كفرها مقتضٍ لغضب الرب العظيم، وسبب لتبدلها بأضدادها ومتنوع العقوبات والعذاب الأليم.

عباد الله: إن نعم الله على الجميع متنوعة ووافية، وأعظمها الهداية إلى الإسلام والإيمان، ومنها الأمن في الأوطان وما أعطانا من العافية، فتلكم من نعم الله العامة، وكم له على بعضنا من النعم الخاصة؛ فمنا من خصه الله بنعمة الفقه في الدين ومعرفة أحكام الشرع، ومنا من أنعم الله عليه ببسطة في المال أو قوة في الجسم أو

نصيب وافر من الجاه والنفع، ومنا من خصه الله بشيء من الرأي السديد، أو فضَّله بخلق حميد، أو صنعة ينفع بها من شاء الله من العبيد.

وهكذا تتنوع النعم فضلاً من الملك الحق، وتقسم بمقتضى الحكمة بين الخلق، وفي ذلك من الابتلاء للخلق ما يتبين به الشكور من الكفور، ومن هو أهل الإحسان والفضل ممن هو محل للعقوبة والعدل، ولا يظلم ربك أحداً. فاذكروا نعمة الله عليكم، واشكروا إحسانه إليكم، واعلموا أنه سبحانه في ذلك كله يبتليكم فناظرٌ كيف تعملون، وتذكروا أن الإحسان بالفضل إلى الخلق من أسباب بقاء كثير من النعم في أيدي المقصرين، وأن منعها عنهم من أسباب زوال كثير منها من أيدي الصالحين، والناس عيال الله ـ أي عالة عليه ـ فأحبهم لله تعالى أنفعهم لعياله وأرحمهم بعباده، وما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا اشتدت إليه مؤنة الناس، ومن لم يحمل تلك المؤنة للناس فقد عرَّض تلك النعمة للزوال.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تعالى أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم**» وفي رواية: «**إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين، ما لم يملوها، فإذا ملوها نقلها إلى غيرهم**» وفي رواية: «**إن لله خلقاً خلقهم الله لحوائج الناس؛ يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله**».

أيها المسلمون: فنعم الله كلها سواء كانت فقهاً في دين الله، أو علواً في المنزلة والحياة، أو بسطة في المال أو كثرة في العيال، أو

سداداً في رأي، أو إتقاناً لصنعة، أو قوة في بدن، وهكذا سائر النعم؛ فإنما هي عوارٍ يبتلي الله بها العباد؛ فمن عرفها وأدركها قدرها وشرفها واستعملها فيما خلقت من أجله وبذلها يلتمس بها فضل الله، أقرها الله في يديه ما شاء ونفعه بها وزاده، ومن احتقرها، أو نسبها إلى غير الله، أو استعملها في الآثام، أو منعها عباد الله، فقد عرض نعمة الله عليه للزوال، وكان حريًّا أن يشقى بها في الحال والمآل.

أيها المسلمون: إن بذل نعم الله تعالى في عباده من أعظم موجبات استقرارها وزيادتها، ومن أفضل من يتقرب به إلى مسديها ومُوليها، ومن أعظم ما تدفع به الشرور والمكاره والمصائب والبلايا؛ فإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات. وخير الناس وأحبهم إلى الله أنفعهم للناس، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة؛ وإن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم، وإحسانك إلى من تعلم ومن لا تعلم.

روى الطبراني رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرض الله له ثواباً دون الجنة» وروى عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «أفضل الأعمال ـ يعني بعد الفرائض ـ إدخال السرور على المؤمن؛ كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له ديناً» وعن ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وفيه: «تكشف كربته أو تقضي عنه ديناً».

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»**، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما

رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على ظهر الطريق، فأخَّره، فشكر الله له فغفر له» وفي رواية: «فأدخله الجنة».

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «كل معروف صدقة»، وفيهما عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» وفي البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة».

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊ ❊

نعيم الجنة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله، واتقوا النار التي أعدت للكافرين، ولمن شاء الله أن يصلاها بذنبه من عصاة الموحدين، حتى يطهر من رجسه، ثم يخرج منها، ثم يدخل الجنة مع المؤمنين، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

أيها المؤمنون: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[١].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٢ ـ ١٣٦.

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ ﴾[1].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩ ﴾[2].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢ ﴾[3].

عباد الله: إن الله تعالى أعد الجنة داراً لكرامته ونزلاً لأهل ضيافته، أعد الله تعالى فيها من ألوان النعيم وأصناف التكريم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾[4].

قصور وحور، وسرور وحبور، وأنهار جارية، وثمار يانعة، وسرر ناعمة ونعمة وبهجة، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم، ولا يتكدر عيشهم، ولا يتشتت شملهم، وذلك هو الفضل الكبير ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٣٣ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥ ﴾[5].

---

(١) سورة الرعد، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٩.
(٣) سورة التوبة، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٧.
(٥) سورة فاطر، الآيات: ٣٢ ـ ٣٥.

﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾[(١)].

عباد الله: وأعظم نعيم أهل الجنة اشتغالهم بذكر الله تعالى، وتمتعهم بالنظر إلى وجه الله الكريم؛ فإنهم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[(٣)]، وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[(٤)].

وأعلى نعيم الجنة أن يُحِلَّ الله تعالى عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً، وبهذا يأمنون من كل كدر وخطر، ويوقنون بطيب العيش وحسن المقام في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ

---

(١) سورة الدخان، الآيات: ٥١ ـ ٥٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١ ـ ٤٤.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.
(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[(١)].

عباد الله: وكم في الكتاب والسنة من النصوص المشتملة على تجلية وذكر أفانين نعيم الجنة، وبيان أسباب دخولها، وموجبات عظم النعيم فيها، وذكر ما كان عليه أهلها في الدنيا من الاعتقادات الصحيحة والأعمال الصالحة والأقوال السديدة والأخلاق الرشيدة التي نالوا بها رحمة الرحيم الرحمن، وفازوا بمجاورته في أعالي الجنان.

ولكن: يا عباد الله! دون الجنة عقبة كؤود لا يجاوزها إلا المخفُّون من الأوزار، المجتنون بجنة التقوى لله الواحد القهار، ألا وهي النار التي أقسم رب البرية بشأنها بقوله في محكمه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[(٢)]، فأقسم سبحانه أن يردها سائر الورى، ولم يضمن النجاة منها إلا لأهل التقوى، وكيف يطمئن يا عباد الله من أيقن بالورود ولم يضمن النجاة؟ فاتقوا الله يا عباد الله، واتقوا ناراً تلظى، واستتروا فيها بجنة التقوى؛ فإنها تقول يوم القيامة للتقي: جُزْ يا عبد الله فقد أطفأ نورُكَ حَرِّي.

عباد الله: إن الله تعالى جعل النار داراً لأهل الشقاء؛ فهي عذاب الله يعذب به من يشاء، ولا يدخلها أحد إلا بذنوب اقترفها وسيئات اجترحها، قال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢.

ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾(١)، ولو تدبرتم القرآن كله من أوله إلى آخره لتبين لكم أن الله تعالى لم يذكر النار إلا ويذكر موجبات دخولها، ولم يذكر ألوان عذابها إلا مقرونة بذكر ذنوب أصحابها؛ تذكرة لأولي الألباب، وإعذاراً للغافلين المعرضين عن يوم الحساب. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾(٣) وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾(٤). وقال ﷺ: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**». وكم في الكتاب والسنة من ذكر الموبقات التي توصل أهلها في النار أسفل الدركات.

فيا معشر المؤمنين: آمنوا بالقرآن واتلوه وتدبروه تهتدوا، وانتهوا عما نهاكم الله عنه فيه تنجوا وتسعدوا، واهتدوا بهداه تفلحوا، واعملوا الصالحات تصلحوا وتربحوا ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾(٥).

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ

---

(١) سورة الليل، الآيات: ١٤ ـ ١٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.
(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤، ٣٥.
(٥) سورة الإسراء، الآيتان: ٩، ١٠.

وَلِقَوْمِكَۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

النوم من آيات الله

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وهو الذي جعل الليل لباساً، والنوم سباتاً، وجعل النهار نشوراً، أحمده سبحانه حمداً طيباً مباركاً كثيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الملك العظيم والرب الرحيم، لا إله إلا هو رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث من ربه بالهدى ودين الحق، بشيراً ونذيراً للمكلفين من الخلق، فأوضح الله به المحجة، وأقام به الحجة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعـد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى واشكروه على سابغ نعمته، واستعينوا بها على طاعته، ولا تجعلوها ذريعة لمعصيته، بل اتخذوها سلماً للفوز بمغفرته، ورضوانه وجنته، وتذكروا أنكم عما قريب منقلبون إليه، فموقوفون بين يديه، ومسؤولون عما أنتم فيه من النعمىٰ والخير العميم، وقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار، فأعدوا للسؤال جواباً وليكن الجواب صواباً ﴿ يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

أيها المسلمون: من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، هذا الليل الذي جعله الله لكم لتسكنوا فيه، فتنقطع معه حركاتكم، وتهدؤوا فيه بنومكم، ولهذا ذكره الله تعالى من جملة آلائه امتناناً وتذكيراً، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾(١) أي يغشاكم بسواده، فتسبت حركاتكم أي تنقطع فيه؛ ليحصل لكم السكون والراحة فيه ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾(٢). أي تنتشرون فيه لتجارتكم وأعمالكم وسائر تصرفاتكم التي تتحقق بها معايشكم، فجعل هذا للارتياح وهذا لطلب الأرباح؛ فتقوم بذلك المصالح، ويستعان بهما على العمل الصالح، ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٨٦﴾(٣) أي ألم يشاهدوا هذه الآيات العظيمة، والنعم الجسيمة، في تسخير الليل والنهار يتعاقبان، هذا بظلمته وهدوئه، ليسكنوا فيه ويستريحوا من التعب ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه لينتشروا فيه في معايشهم وتصرفاتهم، فليشكروا الله، وليحسنوا العمل، إن في ذلك لآيات واضحات دالات على كمال وحدانيته، وسبوغ نعمته، ووجوب الإخلاص له في عبادته، ينتفع بها المؤمنون ويجحدها المبطلون.

عباد الله: ومما قرر الله تبارك وتعالى به إلهيته، واحتج به على المشركين به في عبادته، ونبه به على أنه هو الإله الحق المستحق للحب والذل والتعظيم والإجلال والإكرام من جميع الخلق

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٧.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٧.
(٣) سورة النمل، الآية: ٨٦.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[١]، فأخبر سبحانه بأنه وحده المتفرد بتدبير عباده في يقظتهم ومنامهم، وأنه يتوفاهم بالليل وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم؛ ليتصرفوا في مصالحهم ومعاشهم ومعادهم، وليستكملوا الأرزاق والآجال، وهو سبحانه يعلم ما جرحوا وكسبوا من الأعمال، ومنهم من يتوفاه الله على نومه ثم لا يبعثه إلا يوم القيامة، لأنه سبحانه قد قضى بنفاد أجله وانقطاع عمله فاخترم دون أمله، ولذا كان الرسول ﷺ يقول إذا أراد أن ينام: **«باسمك اللهم أموت وأحيا»** وإذا استيقظ من منامه قال: **«الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»** وكان يقول: **«باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»**، وكان يقول: **«اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية»**.

معشر المؤمنين: في هذه الأذكار النبوية تذكير للنفس بأن النوم أخو الموت، وأنه مذكر به، وقد يكون طرفاً له؛ فإن استحضر العاقل الأجل، خاف من الله عز وجل، وحرص على الختام بصالح العمل؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: **«يبعث كل عبد على ما مات عليه»** وثبت عنه ﷺ **«أن الناس إذا ماتوا يبعثون على نياتهم»** وكم من الناس اليوم يفرطون في هذا الجانب؛ فيختمون يقظتهم بعمل المنكرات،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

ينامون مصرين على السيئات، عازمين متواطنين على ترك صلاة الفجر مع الجماعات، فماذا لو ماتوا حال نومهم، وبعثوا على نياتهم فماذا يقولون لربهم تبارك وتعالى إذا وقفوا بين يديه وسأل كل واحد منهم عن إحسانه إليه وحقه عليه؟ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[1]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[2].

ألا فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأحسنوا النيات، وبادروا فرص العمل بعمل الصالحات، واتقاء السيئات، وسرعة التوبة إلى الله تعالى من الزلات، واختموا يقظتكم بخير، واستعينوا بالنوم على عمل البر، وأظهروا لله الشكر، ولا تكونوا ممن قال تعالى فيهم في معرض الذم والتهديد والإنذار والوعيد بسبب ما كانوا يقترفون: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[3].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٣) سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الملك الحق المبين، وإله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، والناصح المبين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعـد:

فيا عباد الله: اتقوا الله واستقيموا على دينه وهداه، واشكروه على سابغ نعماه، ولا تكونوا ممن غفل فأعرض واتبع هواه، فإن الله تعالى قد قال في وحيه الذي أوحى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1].

واعلموا أن لنبيكم صلى الله عليه وسلم هدياً كريماً، وسنناً معلوماً، كان يأخذ به عند نومه ويوصي به أهله وصحابته، وهو وصيته لكل أحد من أمته، وبالأخذ به ينتفع من النوم ويتقرب إلى الحي القيوم، وتتقى الشرور والمكاره والهموم؛ فمن ذلك أنه أرشد إلى إزالة زفر الطعام من الأيدي قبل النوم فقال: **«إذا نام أحدكم وفي يده ريح غمر فلم يغسل يده فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»**، وقال ﷺ: **«إذا نمتم فأطفئوا سرجكم؛ فإن الشيطان يدلي مثل هذه على هذا فيحرقكم»**.

ولما رأى ﷺ رجلاً قد نام على بطنه قال: **«إن هذه ضجعة لا**

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

يحبها الله تعالى» وروى أنها حال أهل النار وهم يعذبون، وقال ﷺ: «إياك والسهر بعد هدأة الرِّجْل؛ فإنكم لا تعلمون ما يأتي الله في خلقه»، وكان ﷺ إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن، وكان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة وقال ﷺ: «من اضطجع مضطجعاً لم يذكر الله فيه كان عليه ترة» أي حسرة وندامة يوم القيامة، وكان يقول: «يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد».

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الربا.. حقيقته وصوره وعظيم خطره

الحمد لله الذي أحل الحلال ويسّره وأطابه، ونهى عن الحرام وزجر عنه وحرم وسائله وأسبابه، أحمده سبحانه هو الغفور الرحيم ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي أحل البيع وحرم الربا، وآذن المرابين بالحرب والمحق وألوان من العقوبات في الدنيا والأخرى.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى والرسول المجتبى، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ وقد لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: «هم سواء»، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق التقوى، ألا وإن من خصال التقوى وفعل أولي النهى ترك ما نهى الله عنه من الربا، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[2]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٢٧، ٢٨.
(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.

عباد الله: الربا لغة: الزيادة في أصل الشيء، أو مقابل شيء آخر. وهو شرعاً: زيادة مال أو منفعة متفق عليها، أو جارية عرفاً تؤخذ مقابل قرض مالي إلى أجل، أو مقابل تأجيل دين حالٍّ في الذمة إلى مدة أخرى، أو عند تبادل شيئين حرم الله تفضيل أحدهما على الآخر بمقدار أو صفة؛ إما لعلة الثمنية مطلقاً كالذهب بالذهب، والفضة بالفضة، وكذا الأوراق النقدية من إصدار واحد بمثلها، أو لعلة الكيل أو الوزن مع الطعم كالبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، وما يلحق بهذه الأصناف في العلة، أو أن يباع جنس من هذه الأجناس بنظيره في العلة، وأحدهما حاضر والآخر غائب. فكل ذلك رباً.

وقد يطلق الربا شرعاً على كل بيع محرم؛ لما بين البيوع المحرمة والربا من اشتراك في الظلم والإثم والعدوان، وأكل أموال الناس بالباطل، والاحتيال على الله، والتغرير بعباده.

عباد الله: لقد جاء الإسلام وأهل الجاهلية يتبايعون بالربا؛ متأثرين بجيرانهم وعملائهم من اليهود الذين هم أهل الربا وشياطين الناس فيه. فكان الرجل من أهل الجاهلية يبيع البيع على الآخر، أو يسلفه في الثمار إلى أجل، فإذا حل ميعاد وفاء الدين ولم يتمكن المشتري أو المستلف من أداء ما في ذمته، قال الدائن للمدين: إما أن تقضي ـ يعني توفي ما في ذمتك ـ وإما أن ترابي ـ يعني توافقني على ما أفرض عليكَ من زيادة على أصل الدين مقابل تأجيله إلى مدة أخرى.

وكذلك كان أهل الجاهلية يستقرض أحدهم من الآخر الدراهم

والدنانير إلى أجل لحاجاتهم، أو ليتوسعوا بها في تجاراتهم، على أن يردوا أفضل مما استقرضوا بعد مدة معلومة، فكانوا يقرضون المال مدة محدودة مقابل زيادة على أصل القرض مشروطة يتفق على مقدارها وكيفية أدائها أقساطاً شهرية أو دفعة واحدة مع أصل القرض، وكلما تأخر الدين أو القرض اتفق على تأجيله مدة أخرى مقابل زيادة جديدة، وهكذا يفعلون ذلك المرة تلو الأخرى حتى يتضاعف الربا، وتتراكم الديون.

وهذا الذي نهى الله تبارك وتعالى عنه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[1]، وعناه النبي ﷺ بقوله: **«كل ربا الجاهلية موضوع بين قدمي، وأول ربا أضعه ربانا ربا عمي العباس»** وقال الله عز وجل بشأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[2].

أيها المسلمون: وربا الجاهلية الذي عرفتم بعض صوره هو الذي يطبق بين أظهركم اليوم، وتُغْرَون بشتى الوسائل والأساليب والدعايات للتورط فيه، حتى تصبحوا أرقاء لكبار أهل الربا، وتتعرضوا لسخط المولى، والخزي في الدنيا والأخرى.

أيها المسلمون: إن شياطين الربا وطواغيته اليوم قد تفننوا بخبث ومكر في سحر الناس للوقوع فيه تحت مسميات براقة، من

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٠، ١٣١.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩.

تسهيلات وخدمات عريقة، وبطاقات ائتمان، إلى غير ذلك من أحاييلهم وشراكهم، وإن من البيان لسحراً، وفي زخرف القول تزيين لباطله، ولكن أولي التقوى والنهى يعلمون يقيناً أن العبرة بالحقائق لا بالمسميات، وبالعواقب لا بالتضليل والدعايات، وأحزم الناس من لم يرتكب عملاً حتى يفكر ما تجني عواقبه.

أيها المسلمون: إن غالب ما تقوم به المؤسسات المصرفية وغيرها اليوم، وغالب ما يقوم به من قل توفيقه من أهل الأموال ما هو إلا تكرار بغيض لمعاملات أهل الجاهلية الأولى، لكن مع تغيير لبعض المسميات، وسحر في الدعايات، وارتباط فكري واقتصادي وثيق مع كبار مؤسسات الربا العالمية التي تتفنن في الربا، وتسن قوانينه، وتشرف على تطبيقه، والدفاع عنه وعن أهله؛ لما لها من المردود الهائل والهدف البعيد.

فمن صور الربا المعاصر: الإقراض النقدي بالفائدة المشروطة، والتي تتوفر لها كافة الضمانات والاحتياطات، وكما يفرضون الفائدة على القرض سلفاً يفرضونها بنسبة أخرى إذا تأخر تسديده بحسب المبلغ والمدة، وهذا يجمع أشهر صورتين من صور الجاهلية.

كذلك من صور الربا الجاهلية المعاصر ما تقوم به المؤسسات المصرفية الربوية من تمويل الصفقات التجارية والمشاريع الإنشائية للأشخاص والمؤسسات، مقابل فائدة تقدر بنسبة مئوية من المال الذي توفره البنوك لتلك الصفقات والمشاريع، تضاف إلى أصل المال مقابل إنظار صاحب المشروع حتى يسدد ما تطلَّبه المشروع من مال. وحقيقة ذلك أنه إقراض بربا، وهو عين ما كان يفعله أهل الجاهلية.

ومن صور الربا المعاصر ما تعطيه المؤسسات المالية المصرفية من فوائد على الودائع البنكية ونحوها من المسميات الأخرى؛ بحيث تدفع تلك المؤسسات أرباحاً محدودة على ودائع الأشخاص والمؤسسات والشركات التي ترصد عندها، بحسب مدة بقائها في صناديقها، وهي في نفس الوقت قد أخذت أضعاف ما أعطت من أرباح، بواسطة إقراض تلك الأموال للمستقرضين وتمويل الصفقات التجارية والمشاريع الإنشائية، أو إقراض تلك الأرصدة لبنوك دولية بنسبة أكبر، وهكذا يتكرر التعامل بربا الجاهلية، ويغرر به المسلمون ليشاركوا أهل تلك المؤسسات المشبوهة ما تتعرض له من حرب الله ومحقه ولعنته وألوان عذابه ونكاله.

عباد الله: صور التعاملات الربوية التي تمارسها المؤسسات المصرفية والأشخاص المقلدون لها كثيرة وشهيرة، فخذوا حذركم فإن الأصل في هذه المؤسسات الشبهة والتهمة؛ لأنها تقوم على نظام مصرفي لا يمت إلى الإسلام بصلة، ولم تؤخذ عند وضعه الأدلة الشرعية ومقاصد الشريعة، ولم يكن لها فيه أي اعتبار مقصود.

فإياكم وإياها؛ فإنها لن تحقق لكم خيراً، ولن تقصد لكم برًّا، ولن توفر لكم نصحاً.

والربا محرم تحريماً قطعيًّا معلوماً من دين الإسلام بالضرورة؛ من جحده أو استحله كفر كفراً مخرجاً من الملة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[١]، ولعن النبي ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

وشاهديه، وقال: «هم سواء»، وأجمع المسلمون في سائر الأعصار والأمصار على تحريمه، ولقد توعد الله أكلته بالحرب والمحق واللعن والخلود في النار، والخزي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ولم يرد في ذنب دون الشرك مثلما ورد من الوعيد على آكل الربا؛ لأنه من كبائر الذنوب، وأعظم الموبقات، وأعظم الظلم، وأقبح العدوان والبغي؛ لما فيه من الاحتيال على الله وسوء الظن به، ومخادعة عباده وأكل أموالهم بالباطل ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٥، ٢٧٦.

أكل أموال الناس بالباطل

الحمد لله رب العالمين، الذي أخبر أنه لا يحب ولا يهدي القوم الظالمين. أحمده سبحانه على أن حرَّم الظلم وزجر عباده عنه ببيان ما فيه من الإثم والشؤم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي آذن الظالمين بأليم العذاب وشديد العقاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أخبر أن الله تعالى يستجيب دعوة المظلوم ويرفعها فوق السحاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله في سائر الأحوال، وراقبوه عند سائر التصرفات والأقوال والأعمال، واحذروا الحرام من الأموال. لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، ولا تغرنكم الدنيا فإنها ظل زائل، واعلموا أنه لن تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، فأعدوا للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾[١].

عباد الله: إننا في زمان طغى فيه طلب المال وحب الدنيا، فصرف ذلك كثيراً من الناس عن الآخرة؛ حتى أضاعوا الواجبات،

---

(١) سورة الحشر، الآيتان: ١٨، ١٩.

وارتكبوا المحرمات، وجهلوا كثيراً من أحكام دينهم، وصارت الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم، فجاهروا بمعصية الله عز وجل، واستحلوا محارمه بأدنى الحيل، فأصبحوا على خطر من أن يتحقق فيهم قول الله في الذكر المبين: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

عباد الله: إن طلب الرزق والسعي لتحصيل المال أمر محمود طبعاً ومأمور به شرعاً، إذا روعيت فيه الضوابط الشرعية وأقيم على الموازين المرعية، فنعم المال الصالح للرجل الصالح، وقد أثنى الله على الذين يبتغون من فضله، وقرنهم في العديد من الأحكام بالذين يقاتلون في سبيله؛ وصح عن النبي ﷺ قوله: «**إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده وكل بيع مبرور**»، وقوله: «**إن أطيب ما أكلتم من كسبكم**»، ولكن الله تعالى نهى في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ نهياً أكيداً، وتوعد وعداً شديداً الذين يأكلون أموالهم بينهم بالباطل، ويتخوضون في مال الله بغير حق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[2].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»، وقال عليه الصلاة والسلام في منى يوم النحر يوم الحج الأكبر وهو أشرف جمع حضره ﷺ: «**إن**

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.
(٢) سورة النساء، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا». فقرن حرمة مال المسلم وعرضه بحرمة دمه؛ زجراً لأهل الإسلام، وجعلها كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام.

أيها الناس: إن أكل أموال الناس بالباطل والتخوض فيها بغير حق يشمل كل المكاسب المحرمة والوسائل التي يحصل بها المال وهي منهي عنها، ومن أعظمها المراباة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[1].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»، وقال: «هم في الإثم سواء»، وقال ﷺ أيضاً: «الربا وإن كثير فعاقبته إلى قلة». وذكر أهل العلم أن الربا من أعظم أسباب سوء الخاتمة.

ومن أعظم أنواع الربا قلب الدين على المعسر؛ وهو ربا النسيئة الذي هو ربا أهل الجاهلية؛ إذا حل أجل الدين قال الدائن للمدين: إما أن تقضي وإما أن تربي، فإن عجز المدين عن التسديد وهو القضاء، قال له الدائن: أزيد في قدر الدين وأمد الأجل.

ومن أنواع الدين القرض ـ الذي يسميه العامة السلف ـ بفائدة، وهو الذي تنتهجه البنوك الربوية اليوم، ويفعله بعض أهل الأموال الذين لا يخافون الله؛ حيث يقرضون ذوي الحاجات وأصحاب

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٠، ١٣١.

المصانع والحرف وأرباب التجارات مبالغ من المال نظير فائدة محددة بنسبة مئوية محددة بحسب المدة.

ومن أنواع الربا إيداع الناس أموالهم في البنوك مقابل أرباح ثابتة تدفعها البنوك لهم بنسبة معينة في المائة، ومثله بيع الذهب بالذهب مع تفضيل أحد المبيعين بوزن أو قيمة، وبيع الذهب بالنقود من غير قبض في الحال. فكل هذه الصور وغيرها كثير مما جاء بشأنه الوعيد في الكتاب والسنة لمن تعاطاه، ولم يتب، بالعقوبة في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: ومن أكل أموال الناس بالباطل والتخوض في الأموال بغير حق، أخذها رشوة أو عن طريق الاختلاس والنهبة، سواء من أموال الدولة أو عامة الناس، وقد صح أن النبي ﷺ لعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الساعي بينهما، وأخذ شيء من بيت مال المسلمين من غير وجه شرعي غلول، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾[1]، ورأى النبي ﷺ الغالَّ يعذب بما غل يشتعل عليه ناراً.

أيها المسلمون: ومن أكل أموال الناس بالباطل وأخذها من وجه حرام، أخذها عن طريق الغش في المعاملات كالبيع والشراء والمقاولات والإجارات، وقد قال ﷺ: «من غشنا فليس منا».

ومن الغش إخفاء عيوب السلع وحجبها عن المشترين، فقد مر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

النبي ﷺ على صبرة طعام ـ أي كوم ـ تباع في السوق، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: **«ما هذا يا صاحب الطعام؟»** قال: أصابته السماء ـ يعني المطر ـ يا رسول الله، فقال: **«أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا»**.

ومن الغش تغرير البائع بالمشتري في قيمة السلعة بحيث يبيعها عليه بأكثر من قيمتها الحقيقية، والمشتري لا يعلم. ومن ذلك الغش نقص السلع الموزونة أو المكيلة أو المذروعة أو المعدودة أو المقدرة بالسنتيمترات وبيعها على أنها وافية أو أنها أصلية، أو غير ذلك من الاحتيالات سواء فعل ذلك التاجر بنفسه أو اتفق مع الجهة المصدرة على أن تجعلها كذلك.

أيها المسلمون: ومن الغش التغرير بالجهات الحكومية والشركات وأصحاب الأعمال عندما ترسل تلك الجهات مندوباً لتأمين بعض المشتروات، فيتفق ذلك المندوب مع بعض أصحاب المحلات التجارية على أن يشتري منها بسعر معين ويكتب في البيان سعراً أكثر منه، ويوقع معه صاحب المحل ليأخذ المندوب الزيادة، وقد يشاركه صاحب المحل، فيكون الطرفان أخذا مالاً حراماً أو باعا دينهما بدنيا غيرهما.

أيها المؤمنون: كل هذه الصور وغيرها كثير من أنواع أكل أموال الناس بالباطل، وكسبها من وجه حرام، والتخوض في مال الله بغير حق؛ فمن فعل شيئاً من ذلك فهو عاصٍ لله ورسوله، متعرض لما توعد الله به العصاة من أليم العذاب وشديد العقاب، فاتقوا الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

الدعاء.. فضله وحقيقته وأدبه وثمرته

الحمد لله مجيب الدعاء، جزيل العطاء، أحمده سبحانه على الهدى وأشكره على النعماء، وأسأله للجميع اللطف في القضاء والعافية من البلاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وخيرة الله من خلقه أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله ربكم وأطيعوه، واشكروا له ولا تكفروه، وأثنوا عليه بما هو أهله وادعوه، فإنه سبحانه قد أمركم بإخلاص الدعاء، ووعدكم عليه بكريم العطاء وصرف البلاء، وأرشدكم إلى أن الدعاء من أعظم الأسباب التي يُنال بها الخير ويتقى به المكروه في الدنيا والأخرى، فقال جل ذكره في تنزيله وذكره: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥﴾[١].

عباد الله: اطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء، وسلوا الله العفو والعافية واليقين في الآخرة والأولى، وسلوه تبارك وتعالى أن يستر عوراتكم، وأن يؤمن روعاتكم، وأن يؤتيكم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة؛ فإن ذلك من جوامع الدعاء، واستجابته من جزيل العطاء وسابغ النعماء، ومن دعا ربه فاستجاب له ورأى ما يسره فليقل: الحمد لله الذي بنعمته وعزته وجلاله تتم الصالحات. ومن أبطأ عنه مطلوبه ومراده أو رأى ما يكره فليقل: الحمد لله على كل حال؛ فإن ذلكم من هدي نبيكم محمد ﷺ في تلك الأحوال.

أيها المسلمون: أكثروا من الدعاء، فليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء، ومن لم يدعُ الله عز وجل غضب عليه، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حيي كريم إذا رفع العبد إليه يديه يستحي أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً**». وفي صحيح الحاكم وغيره بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**».

أيها المسلمون: من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٥.

يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له، ومن سره أن يستجيب الله له حال الشدة والضيق فليكثر من الدعاء حال الرخاء، وليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، وليلح في الدعاء؛ ففي المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل**»، قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: «**يقول: قد دعوتك يا رب، قد دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب لي، فيتحسر عند ذلك فَيَدَع الدعاء**».

وفيهما عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم ارزقني إن شئت. ليعزم مسألته؛ فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له**»، وفي صحيح مسلم عنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**».

فينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء، وأن يكون على رجاء الإجابة ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريماً، وقد روي عن الإمام ابن عيينة رحمه الله قال: لا يمنعن أحدكم الدعاء ما يعلم من نفسه ـ يعني التقصير ـ فإن الله قد أجاب شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾[١].

أيها المؤمنون: ليكن فزع أحدكم في الدقيق والجليل من حاجاته ورغباته إلى الله، ولا يلتفت في شيء منها بقلبه إلى أحد

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٦.

سواه؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَسْئَلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾(١)، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾(٢).

وفي الترمذي بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»، وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له الجنة؟**» فقلت: أنا، فكان لا يسأل الناس شيئاً.

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: «**ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟**» وكنا حديثي عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «**ألا تبايعون رسول الله؟**» فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «**على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا ـ وأسر كلمة خفيفة ـ ولا تسألوا الناس شيئاً، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه**».

عباد الله: اجتهدوا في الدعاء، وأكثروا من الثناء، وعظموا الرجاء، وتحلوا بآداب الدعاء، فإن خزائن الله ملأى، ويديه سحَّاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

البحر، وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني؛ فأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندي شيئاً». وفي التنزيل: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه، الذين يحل عليهم رضوانه ويمنحهم جزيل ثوابه، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين والناصح المبين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله حق التقوى، وعاملوه معاملة من يعتقد أنه يسمع ويرى، وادعوه واذكروه في سائر أحوالكم تفوزوا بخيري الدنيا والأخرى، ولا تعرضوا عن الدعاء فتحشروا مع من استكبر وأبى، بل ادعوا الله مخلصين له الدين راغبين راهبين، وبآداب

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

الوحيين مستمسكين؛ فإن سؤال الله الحاجات دقيقها وجليلها كبيرها وصغيرها توحيدٌ وعبادة، وإن عدم الاحتياج إلى الله والإعراض عنه كفرٌ وإباء؛ يوصل صاحبه النار وبئس مهاده، وإن الالتفات بالحاجات إلى غير رب الأرض والسماوات شرك برب العالمين؛ يخرج صاحبه من الدين، ويحرمه إذا مات عليه مغفرة ورحمة أرحم الراحمين، ويحرم عليه الجنة ويجعله خالداً في النار، وذلك هو الخسران المبين.

عباد الله: اعلموا أن دعاء المؤمن لا يُرد، غير أنه قد تقتضي حكمة الله تأخير الإجابة، أو يعوض عنه بما هو أولى له مما دعا به عاجلاً وآجلاً، وذلك من رحمة الله بعباده. فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء، كما هو متعبد في التسليم والتفويض للقدر والقضاء، ومن جملة آداب الدعاء تحري الأحوال والأوقات الفاضلة كالسجود، وعند الأذان وبين الأذان والإقامة وآخر الليل، ومنها أن يكون على طهارة إذا تيسر، ومنها استقبال القبلة، ورفع اليدين، وتقديم التوبة، والاعتراف بالذنب، والإخلاص، وسبقه بما تيسر من الصدقة، وترك أكل الحرام، وافتتاح الدعاء بالحمد والثناء، والصلاة على خير المرسلين وخاتم الأنبياء، وسؤال الله بأسمائه الحسنى، والدعاء بجوامع الدعاء.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الإيمان بالقدر والقضاء.. وجوبه وثمرته

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمده سبحانه على قدرته القاهرة وحكمته الباهرة، وأشكره على نعمه الباطنة والظاهرة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يرحم الصابرين عند الابتلاء، ويزيد الشاكرين للنعماء، ويلطف بالمؤمنين في القضاء، ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الصابرين وسيد الشاكرين وأفضل المتوكلين.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١)].

أما بعد:

أيها الناس! اتقوا الله، واعملوا صالحاً يحبه ربكم ويرضاه، وخذوا من دنياكم الحذر، وآمنوا بكل ما يجري به القدر، ولا تستبدلوا ما هداكم الله له من الطاعة بالمعصية فتحل بكم الغِيَر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[(٢)]، ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾[١].

أيها المسلمون: إن دنياكم هذه مليئة بالمصائب والرزايا والمحن والبلايا، إلى جانب ما فيها من كريم المنح وجليل العطايا، وأنواع ما يجود الله به من تنفيس الكروب وتيسير العسير وصرف المنايا؛ فهي دار شدة ورخاء، وسراء وضراء، ومرح وترح، وضحك وبكاء، تتجدد فيها الحادثات، وتتنوع فيها الابتلاءات، ويبتلى أهلها بالمتضادات؛ ليعتبر بها المعتبرون، ويغتنمها الموفقون، وليغتر بها المغترون، ويهلك بها الهالكون ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[٢]، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[٣]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[٤]، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[٥]، ولذا فكم ترون في الدنيا من أصناف الشاكين وأنواع الباكين؛ فهذا يشكوا علة وسقماً، وذاك يشكو حاجة وفقراً، وثالث يبكي على فراق حبيب أو وفاة قريب، أو فوات نصيب من دنياه، غير مؤمن بما قدره الله وقضاه.

أيها المسلمون: إن شكوى الله على الخلق والبكاء على الغائب من أمارات وموجبات ضعف الإيمان، ومن مظاهر اليأس من روح الملك الديان، ومن دواعي القنوط من رحمة الرحيم الرحمن، وتلكم

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٣.
(٤) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٣.

من خصال شر البرية الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية. ولهذا تجدون بعض هؤلاء إذا نزلت بأحدهم النازلة أو حلت به الكارثة ضاقت عليه المسالك، وترقب أفجع المهالك؛ فضاق صدره، ونفد صبره، واضطربت نفسه، وساء ظنه، وكثرت همومه، وتوالت غمومه، فصد عن الحق، وتعلق بمن لا يملك نفعه ولا ضرَّه من الخلق؛ يأساً من روح الله وقنوطاً من رحمته، وذلك هو الخسران المبين في الدارين؛ فإن التعلق بالمخلوقين والإعراض عن رب العالمين شرك بنص الكتاب المبين ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾(١).

أيها المؤمنون: أما من آمن بالله وعرف حقيقة دنياه، وسلم لربه فيما قدره وقضاه، فإنه يصبر على الضراء ويشكر على السراء، ويطيع ربه في حالتي الشدة والرخاء، ويذكره في جميع الآناء؛ لعلمه أن الله تعالى مع عبده ما ذكره، وأنه عند ظنه به، وأنه يبتلي العبد بالخير وضده؛ ليختبر صبره ويستخلص إيمانه، ويظهر توكله على ربه وحسن ظنه به، وليجزل مثوبته ويعلي درجته، ويظهر للناس في الدنيا والآخرة أن هذا العبد أهل لكرامته، وصالح لمجاورته في جنته.

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن النبي ﷺ قال: **«عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**.

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المؤمن نصب ـ أي تعب ـ ولا وصب ـ أي مرض ـ ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه». وفيهما أيضاً عنه ﷺ قال: «ما من مسلم يصيبه أذىً؛ شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها من سيئاته، وحط عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها».

وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»، وفيه أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة».

وقال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»، وفيه أيضاً عنه ﷺ قال: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على حسب دينه».

وفي المسند وغيره عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده أو ماله أو ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغ المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل».

عباد الله: كم من محنة في طيها منح ورحمات، وكم من مكروه يحل بالعبد ينال به رفيع الدرجات وجليل الكرامات، وصدق

الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣﴾[(١)]، ويقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[(٢)].

فاتقوا الله رحمكم الله، واصبروا وأمِّلوا يثبكم الله، واكلفوا من العمل ما تطيقون تحمدوا عقباه، ولا تطغينكم الصحة والثراء والعثرة والرخاء، ولا تضعفنكم الأحداث والشدائد والمصيبات والبليات؛ فإن فرج الله آت ورحمته قريب من المحسنين، وما عند الله لا ينال إلا بطاعة ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[(٣)].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢.

في التذكير

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أيها الناس! اتقوا الله حق تقاته، واسعوا في مرضاته، ومما يروى من وصايا النبي ﷺ وبليغ عظاته أن قال: «أيها الناس! أيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا كأن لم تكن وبالآخرة كأن لم تزل، إن من في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، وإن الضيف مرتحل والعارية مردودة، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه، ما دام سنه مرخى وحبله على غاربه ملقى قبل أن ينفد أجله وينقطع عمله، ألا وإن دنياكم سريعة الذهاب وشيكة الانقلاب، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها، بل اسعوا في عمران آخرتكم، واجتهدوا في تكميلها وتحسينها قبل انتقالكم؛ فإن قصور الجنة وبساتينها تعد وتهيأ بحسب ما تقدمون من صالح الأعمال والأقوال، ومن فاته منزله من الجنة فليس له إلا النار دار الإهانة والنكال، فإن الناس يوم القيامة يصيرون إلى فريقين؛ فريق في الجنة

وفريق في السعير»، وفي موعظة للنبي ﷺ قال: «فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفس محمد ﷺ بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار».

أيها المسلمون: كثيراً ما يذكر الله تعالى أنواع الأعمال الصالحة، ثم يذكر ما أعد لأهلها من أصناف النعيم وألوان التكريم؛ من المساكن والغرف المبنية، والثمرات الدانية الشهية، والعيون والأنهار الجارية بالمشارب الهنية، وأكبر من ذلك رضوان الرب الكريم وجواره في دار التكريم، كل ذلك حثًّا منه سبحانه لعباده على تحري الأعمال الصالحة، واغتنام الفرص والمواسم طلباً للتجارة الرابحة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[١].

وكما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[٢].

وكما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ١١.

أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وقال جل ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[٢].

فرتب سبحانه كريم الثواب وحسن المآب على العمل الصالح وهجر المنكرات والإعراض عن القبائح، فاجعلوا آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقركم، وفكركم وجهدكم فيما تبنون به منازلكم، وتغرسون به بساتينكم في الجنة.

روي أن نبينا ﷺ لقي إبراهيم عليه السلام ليلة أُسْرِيَ به فقال له إبراهيم: يا محمد! أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأن بها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وروي أن الملائكة تبني للمؤمن القصر في الجنة فربما وقفوا، فيقال لهم في ذلك فيقولون: حتى تأتينا النفقة. فأعمالكم الصالحة في الدنيا نفقات لبناء قصوركم وغراس لبساتينكم في الجنة، فلا تكسلوا ولا تبخلوا؛ فإن نقص ذلك عائد عليكم.

---

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠ ـ ١٣.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.

معشر المؤمنين: وكم في سنة النبي ﷺ من ذكر أعمال يسيرة يعطي الله أهلها أجوراً وفيرة وبيوتاً في الجنة، ففي صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة**»، وفي صحيح مسلم أيضاً وغيره عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة**»، وروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الضحىٰ ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب في الجنة**».

وفي فضل صبر المؤمن على موت ولده وحمده لربه واسترجاعه يقول الله تعالى لملائكته: «**ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمُّوه بيت الحمد**».

وفي سنن أبي داود بسند صحيح قال ﷺ: «**أنا زعيم ـ يعني ضامن ـ بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**».

فيا عباد الله: بادروا اللحظات في استباق الخيرات، والمنافسة في جليل القربات قبل الفوات، وتزودوا من دار ممركم بما يصلح دار مستقركم، وقدموا خيراً يسركم؛ فإن الخير كله في اتباع الكتاب والسنة والسير على منهاج السلف الصالح من هذه الأمة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

الوصية بذكر الموت وتربية الأولاد

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد ﷺ، أشرف الحديث ذكر الله عز وجل، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها.

أيها الناس: إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء، ولا يحزن لشقاء، ألا وإن الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة لبلوى الدنيا عِوَضاً، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي، والكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

أيها المسلمون: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو نزهة لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن

يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب. وعليكم بذكر الموت؛ فإنه يمحص الذنوب، ويرقق القلوب، ويبعث على التواضع، ويزهد في الدنيا.

أيها المسلمون: تفكروا في أحوالكم، وتذكروا سرعة رحيلكم، وتزودوا لمعادكم قبل حلول آجالكم وانقطاع أعمالكم، فإن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له. فبادروا بالعمل الصالح والتوبة إلى الله من القبائح، وقدموا من أموالكم خيراً تجدوه عند الله، وأحسنوا أدب أولادكم تحمدوا عقباه، ألا وإن الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، فكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته.

عن النبي ﷺ قال: «**إن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه، حفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**»، فاشكروا الله على ما أعطاكم، وخافوه وارجوه فيما استرعاكم، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت، ولأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع، وما نَحِلَ والد ولداً من نحلٍ أفضل من أدب حسن، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت.

أيها المسلمون: علموا أولادكم وأدبوهم، وكونوا لهم قدوة صالحة فيما إليه ترشدوهم؛ فإنهم خلقوا لغير زمانكم، وابتليتم بهم وابتلوا بكم، فأحسنوا إليهم واحذروهم، فإن لم تفعلوا ذلك فإنكم على خطر من ذهاب أجركم، وكبر وزركم، وأن يفسدوا عليكم

دينكم، ويكدروا حياتكم ويشقوكم في آخرتكم، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

عباد الله: أدبوا أولادكم، وأقيموهم على الطاعة، ولا تقروهم على معصية أي ساعة؛ فإن حق ربكم عليكم أعظم، ولا ترضوا منهم بمخالفة هدي نبيكم محمد ﷺ؛ فإن تربية الأولاد وزجرهم عن الانحراف والفساد أرضى لربكم، وأحرى ببركم، وأطيب لعيشكم، وأسعد لكم في دار مستقركم، فنشئوهم على التوحيد، واغرسوا في قلوبهم الإيمان، وعظموا في صدورهم النعمة، ومروهم بالصلاة والزكاة، ورغبوهم في نوافل الصدقات، وحثوهم على البر والصلة، وعلموهم مكارم الأخلاق ومحبة الإحسان، وازجروهم عن مساوىء الأخلاق وخصال أهل النفاق، واستنوا في ذلك كله بهدي الأنبياء وأتباعهم الأبرار الأتقياء، واحذروا مناهج أهل الجاهلية الأشقياء وما عليه كفار زمانكم التعساء، فإن الله تعالى لما ذكر الأنبياء قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة التغابن، الآيتان: ١٤، ١٥.
(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٧، ٢٨.
(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٩، ٩٠.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

العنايـــة بالأولاد

الحمد لله الذي أوجب على عباده الإخلاص في العبادات، والنصح في المعاملات، وأداء الأمانات إلى أهلها في جميع الأوقات، أحمده سبحانه وهو المحمود في السماوات والأرض وفي الدنيا والآخرة، وأشكره على نعمه الكثيرة الغزيرة الباطنة والظاهرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد الصالحين المصلحين بالفوز والفلاح، وحفظهم في ذرياتهم وذويهم بالتقوى والبر والصلاح، ووعدهم بجمع الشمل وقرة العين في دار القرار ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأخيار.

أما بعد:

أيها الناس! اتقوا الله في جميع أحوالكم؛ فإن تقوى الله خير ما اتصفتم به في حياتكم، وتزودوا به لمعادكم، واحفظوا وصية الله لكم في أولادكم؛ فإنهم من أعظم أماناتكم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٨ ـ ١١.

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾[١]، ويقول جل ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[٣].

فأوصاكم الله في أولادكم وذويكم خيراً أن تنشئوهم على الطاعة، وأن تجنبوهم المعصية، وأن تأمروهم بالصلاة، وأن تشغلوا أوقاتهم بكل ما تحمد عاقبته، وأن تؤدبوا من خالف الحق واتبع الهوى، يقول ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

عباد الله: إن أول العناية بالأولاد وحفظ الوصية فيهم أن يسأل كل من الرجل والمرأة ربه أن يرزقه زوجاً يكون له قرة عين، ويطلب من الأزواج مرضيَّ الخلق والدين، يقول الله تعالى في محكم القرآن في معرض الثناء على عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[٤].

وذكر سبحانه عن موسى عليه السلام، وقد رأى من بنات الرجل الصالح الأدب والعفة والبعد عن مظان الريبه، أنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[٥]، فهذا أصل في الضراعة إلى الله

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٥) سورة القصص، الآية: ٢٤.

تعالى بطلب الزوج الصالح الذي يعين على الطاعة ويصون عن القبائح، وثبت أنه ﷺ قال للزوج: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، وقال لأولياء المرأة: «إذا جاءكم من ترضون دينه...» الحديث.

عباد الله: وثاني تلك الأمور التي هي من أسباب الغبطة والسرور أن يلح كل من الزوجين على ربهما سؤال الأولاد الصالحين، كما حكى الله عن إبراهيم الخليل أنه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[1]، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[2]، وقال هو وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[3]، وقال سبحانه عن زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾[4]، وقبل ذلك ذكر سبحانه عن الأبوين عليهما السلام أنهما قالا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾[5].

فدل ذلك على أن هبة الولد الصالح من أجلِّ النعم وأسبغ ألوان الكرم، كيف لا وابن آدم إذا مات «انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

عباد الله: ومن حفظ وصية الله في الأهل والأولاد أن تخلص الدعاء لهم بالخير جهدك، وأن لا تدعو عليهم أبداً ولو في حال سخطك؛ فإن دعاء الوالد للولد أو عليه مستجاب كما أخبر سبحانه

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

عن إبراهيم أنه دعا له ولذريته فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾(١)، فاستجاب الله له وجعل ذريته أنبياء هداة للأنام، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**».

أيها الآباء وأيتها الأمهات: اعتنوا بأولادكم وربوهم تربية صالحة تكونوا من الشاكرين، ويكونوا لكم ذخراً في الموازنة. ولو كانوا في حال الصغر؛ فإن العلم في الصغر كالنقش على الحجر في الثبات وبقاء الأثر، فقد صح أن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان طفلاً صغيراً يحبو على الأرض، فأخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال ﷺ: «**كخ كخ ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**».

وقال عمرو بن سلمة رضي الله عنهما: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام! سمِّ الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك**» فما زالت تلك طعمتي بعد. وقال ﷺ: «**علموا الصبي الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر**».

وأمر صلى الله عليه وسلم أن يفرق بينهم في المضاجع دفعاً للمفسدة، وحذراً من الفتنة، وتنبيهاً للأمة على واجب الصيانة وحفظ الديانة.

أيها المسلمون: ومن حق أولادكم عليكم أن تعدلوا بينهم في

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

العطايا، قال ﷺ: «إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم»، وكان السلف يستحبون أن يعدلوا بين أولادهم في القبلة، وأصل ذلك أن أحد الصحابة خص أحد أولاده بصدقة وأراد أن يشهد النبي ﷺ عليها فقال له النبي ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟»، قال: لا، قال: «أفتحب أن يكونوا لك في البر سواء؟»، قال: نعم، قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، وفي رواية قال ﷺ: «أشهِد على هذا غيري فإني لا أشهد على جور»، وفي لفظ: «إلاّ على الحق». فرجع ذلك الرجل في صدقته وعدل بين أولاده في عطيته.

ألا فاتقوا الله معشر العباد، واحفظوا وصية الله لكم في الأولاد، وتذكروا موقفكم يوم المعاد ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين والمسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤١.

العناية بالأهل والأولاد والقيام بحقوقهم

الحمد لله العلي الكبير الحكيم الخبير، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وهو العفو الغفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له ملك السماوات والأرض ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ۝٥٠﴾[1].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي ختم الله به النبوات وكمل الرسالات، الذي أوصى أهل الإيمان بأولادهم خيراً من البنين والبنات، وأمرهم بحسن تربيتهم والعدل فيهم، وأمرهم بالصلاة، وتأديبهم على التقصير في الواجبات، وحث على وقايتهم من جميع ذرائع الانحرافات ومحرم الشهوات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم يبعثون.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله كما وصاكم، واشكروا نعمة الله التي أعطاكم، واذكروه كما هداكم، إن كنتم إياه تعبدون. ألا وإن من شكر نعمة الله تعالى أن يعترف بها له وتنسب إليه، وأن يستعان بها على ما يرضيه، وأن تتقى بها مساخطه ومناهيه، وأن تتخذ سلماً للزلفى لديه.

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

وقد وعد الله الشاكرين بالمزيد، وتأذن الكافرين بالعذاب الشديد، وكم قص الله في محكم قيله على أولي الألباب من نبأ من شكر وأناب، وما أحل بالكافرين الجاحدين من ألوان العقوبات وأليم العذاب، وكم من شديد الأمم من عذبت بما بين يديها من النعم، فمن المكذبين من أهلكه الله بسبب معصيته له في الأموال، ومنهم من كانت فتنته وهلاكه بإقراره لمخالفات النساء والعيال.

فاتقوا الله أيها المؤمنون فيما جعل لكم وابتلاكم به من النساء والذرية، وأحسنوا إليهم وأدوا الأمانة فيهم؛ فإنهم لكم رعية، فالرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، ومؤتمن على ما أعطاه الله، فليؤد أمانته؛ قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[(٢)]، وقال جل ذكره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[(٣)]، وقال تبارك اسمه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[(٤)].

وثبت عن النبي ﷺ من غير وجه قوله: «استوصوا بالنساء خيراً»، وقوله: «خياركم خياركم لنسائهم»، وصح عنه ﷺ أنه قال:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٤) سورة طه، الآية: ١٣٢.

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»، وقوله: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»، وقوله: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها فهي له صدقة»، وقوله في النفقة أيضاً: «أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

إلى غير ذلك من النصوص الصحيحة الصريحة التي تحث الوالدين على شكر نعمة الله عليهما بالأولاد من البنين والبنات، وتحثهما على أمرهم بطاعة الله، وكفهم عن معصيته، والقيام بحقهم وحسن تربيتهم في سائر الأوقات، والعناية بتحقيق مصالحهم الدنيوية والدينية، وتربيتهم على الأخلاق المرضية، وكفهم عن محرم الشهوات وما يؤدي إلى انحراف الأخلاق وسوء النية؛ وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصاهما بهم مع كمال شفقتهما وعظيم حنانهما، فمن قام بتلك الوصية فله من الله جزيل الثواب، ومن ضيعها كان عرضة لشديد العقاب ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾[1].

عباد الله: إن للأولاد من الذكور والإناث حقوقاً على والديهم واجبة عليهم؛ منها تحسين أسمائهم فإنهم يدعون يوم القيامة بأسمائهم، ومنها العقيقة عنهم؛ عن الذكر شاتان وعن الجارية شاة؛ شكراً لله تعالى على هبته، والتماساً لصلاحهم، ومنها ختانهم تحقيقاً لطهارتهم، ومحافظة على فطرتهم، ومنها النفقة عليهم بالمعروف؛

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١١.

أي بالمعتاد وحسب الحال، ومراعاة العدل والمساواة بينهم في المحبة والعطف والوصية؛ فإنهما من أسباب البر، والحذر من الجور فيهما، فإنهما من أسباب العقوق والهجر، فإن أحب أن يكون أولاده وبناته له في البر سواء فليعدل بينهم في المعاشرة والنفقة والعطاء.

ومن أعظم حقوقهم أن يُنَشَّأوا على الاعتقاد الصحيح، والقول السديد، والهدي الرشيد، والعمل الصالح، وأن يؤمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويربوا على حب الخير وتحري خصال البر، ويزجروا عن القبائح، وأن يكون الوالدان قدوة حسنة لهما في المسارعة في الخيرات، وهجر الفواحش والمنكرات، وتعظيم النعمة، وسؤال العافية، ولزوم ذكر الله، وكثرة سؤاله المغفرة في جميع الآناء وسائر اللحظات.

ومن المهم أيضاً أن يعانوا على ما قد يواجهونه من مشكلات، ومن ذلك اجتياز الامتحانات، واغتنام الإجازات فيما ينفعهم في العاجل والآجل.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الاستعداد للموت والعناية بالوصية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[١]، ولا تغرنكم بسطة العيش وسعة الآمال وما فتن به الكثيرون من الأشغال التي ألهتهم عن تذكر هول الرجوع والقيام بين يدي الكبير المتعال.

عباد الله: أما رأيتم المأخوذين على غرة، المزعجين بعد الطمأنينة، الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهوات، حتى أتتهم رسل ربهم، فلا ما كانوا أمَّلوا أدركوا ولا إلى ما فاتهم رجعوا، قدموا على ما عملوا وندموا على ما خلفوا، فلم يغنهم الندم وقد جف القلم، فرحم الله امرءاً قدم خيراً وأنفق قصداً وقال صدقاً، وملك دواعي شهواته ولم تملكه، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه، وأخذ بالحزم في كل شأنه فلم يفرط فيه ثم يتمناه وقد فات أوانه، ألا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، وخذوا بالحزم في أموركم قبل أن تفاجأوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا، فإنها موقف عدل واقتضاء حق وسؤال عن واجب، ولقد أبلغ في الإعذار من تقدم في الإنذار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾(١).

أيها الناس: إن المسلم العاقل ينبغي له أن يأخذ بالحزم وأن يتحلى بحلى أولي العزم من التوثق في أمور حياته لما بعد وفاته، لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ما حق امرىء مسلم له شيء يريد أن يوصي به يبيت ليلتين**»، وفي رواية ثلاث: «**ووصيته مكتوبة عند رأسه**»، قال ابن عمر: فلم تمض عليَّ ليلة إلا ووصيتي مكتوبة عند رأسي، وهكذا كان السلف الصالح رحمهم الله يتأهبون بكتابة وصاياهم وتخليدها في حال صحتهم، عملاً بوصية رسول الله ﷺ، وأخذاً بالحزم في شؤونهم.

أيها المسلمون: تتأكد الوصية في حق من عليه حقوق للناس غير موثقة، وأحق شيء يوصي به الشخص هو الخروج من المظالم وأداء الديون وسائر حقوق الناس؛ فإن هذه الأمور لا يترك الله منها شيئاً، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدون الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة**

---

(١) سورة لقمان، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

الجلحاء من الشاة القرناء».

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بمقدار مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فحمل عليه»، وقد سئل ﷺ عن الشهيد يقتل في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر: أتكفر عنه خطاياه؟ قال: «نعم، إلا الدين».

فالواجب على المسلم المؤمن بالموت والبعث والجزاء أن يؤدي حقوق الناس إليهم، وأن يخرج من مظالمهم في حال صحته وحياته، وما عجز عنه كتبه في وصيته لعل الله أن ييسر أداءه على يدي ورثته بعد وفاته، ففي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقْضَى عنه»، وبلغ من تشديد النبي ﷺ في أمر الدين بادىء الأمر أنه كان لا يصلي على من مات وعليه دين حتى يتحمل عنه، ولما ضمن أبوالدرداء رضي الله عنه دين ميت، ليصلي عليه النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ يسأله إذا لقيه: «هل أديت دين الميت؟» فلما قال نعم، قال: «الآن بردت عنه جلدته».

فاتقوا الله عباد الله في ديونكم وأماناتكم وحقوق الناس وودائعهم عندكم، أدوها إليهم في حال صحتكم وقوتكم وغناكم، ولا تماطلوا فيها، فإن مطل الغني ظلم يبيح عرضه وعقوبته، وما عجزتم عنه لفقركم أو تعذر وصوله إلى أهله في حياتكم فاكتبوه في وصاياكم واسألوا الله أن يوفيه عنكم؛ فإن الله مع المدين ما دام ينوي

أداء حقوق الناس، وفي الحديث: «من أخذ أموال الناس وهو يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها وهو يريد إتلافها أتلفه الله».

أيها المسلمون: ومما ينبغي للتقي الغني أن ينفق من ماله في وجوه الخير وأبواب البر؛ من صلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والأيتام، والإعانة على طلب العلم والجهاد في سبيل الله، وبناء المساجد، وإغاثة الملهوفين، وإسعاف المنكوبين، وقضاء دين المعسرين، وستر المعوزين المتعففين؛ فإن أفضل الصدق أن تَصَدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان.

وفي الصحيح أن أبا طلحة رضي الله عنه قال: يا رسول الله! إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] وإن أحب أموالي إليَّ بير حاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: «بخ بخٍ، ذاك مال رابح، ذاك مالك رابح، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقسمها أبوطلحة في أقاربه. وقد دلت الأحاديث أن الصدقة على القريب صدقة وصلة، فتقربوا إلى ربكم ببذل أموالكم في مرضاته ما دامت في أيديكم قبل بعدها عنكم.

أيها الناس: وقد لطف الله بعباده فتصدق عليهم بثلث أموالهم أو الربع، يوصون به عند وفاتهم لتبذل في وجوه الخير وأنواع البر، زيادة في الصالحات، وطلباً لمضاعفة الحسنات، وسبباً لرفعة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

الدرجات، يتزود بها المرء لآخرته قبل انقطاع عمله بموته، لكن بشرط أن تكون بالثلث فأقل، وأن لا تكون لأحد من الورثة؛ فإن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث، فأوصوا بما يتيسر من أموالكم لغير الوارثين من قرباتكم وفي سائر وجوه الخير؛ طلباً لمرضاة ربكم، وسعياً في تحصيل عظيم الأجور والتجارة التي لن تبور، وإياكم والجور في الوصية بأن تخصوا أحد الورثة بشيء دون الآخرين، ففي الترمذي وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً أن الرجل أو المرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة فيضاران بالوصية فتجب لهما النار، ثم قرأ أبوهريرة: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝١٢ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝١٤﴾(١).

وفي مصنف عبدالرزاق عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به فلان بن فلان أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ

(١) سورة النساء، الآيات: ١٢ ـ ١٤.

ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[١].

وقال أحد السلف في وصية: هذا ما أوصى به فلان، وأشهد الله عليه وكفى بالله شهيداً، وجاز لعباده الصالحين مثيباً أني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وأني آمر نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدين ويحمده في الحامدين، وأن ينصح لجماعة المسلمين، ثم يذكر ما عليه للناس وما عندهم له.

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا أهبتكم للوقوف بين يدي الله؛ فإنكم إلى ربكم منقلبون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

أخطـــار الفــتن

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، والحمد لله الذي أنجز وعده؛ فنصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده؛ فمكن الدين، ونصر وأمن المؤمنين، وجعل الذلة والصغار على المخالفين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العالمين، ومالك يوم الدين، وإله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي الكريم والرسول العظيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد، وحشر العباد، ووقوف الأشهاد.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق تقاته، وأطيعوه مخلصين محسنين تفوزوا بمغفرته ومرضاته، والزموا منهاج سلفكم الصالح، متبعين لهم فيما كانوا عليه من الهدى والعمل الصالح؛ فإن ذلكم هو دين الإسلام، وسبب الفوز بالجنة دار السلام، يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

عباد الله: الزموا هذه السنن، واحذروا الفتن ما ظهر منها وما بطن؛ فإنها أوبئة فتاكة تورث من وقع فيها شقاءً وتوجب هلاكه، وفتن هذا الزمان سريعة الانتشار، عامة الأضرار والأخطار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[1].

أيها المؤمنون: في هذه الآيات الكريمات ذكَّركم الله تعالى بنعمه وألوان جوده وكرمه؛ لتعرفوها وتشكروها، ونبهكم على أسباب نقصها وموجبات زوالها؛ لتحذروها وتتقوها؛ فإنكم لها متعرضون وبها ممتحنون، فخذوا بأسباب السلامة واسلكوا منهاج أهل الكرامة.

لقد حذركم الله من الفتن، وهي كل ما يصد عن دين الله من مال أو ولد أو أهل أو عمل، وما يفد عليكم من أعدائكم في الدين من فتن العقائد الباطلة، والأقوال الأفاكة الفاجرة، والأخلاق السافلة، والآراء المنحرفة، والمشاهدات السيئة، والمذاهب الهدامة في الحياة والاجتماع والاقتصاد، والسياسات، وفنون الاستمتاع؛

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢٤ ـ ٢٩.

فإنكم بكل هذه الأمور وغيرها مفتتنون، وربكم يعلم ما تسرون وما تعلنون، فمن طلب الحق وثبت عليه وصبر ثبته الله وهداه وزاده، ومن ضل قصده أضله الله وجعل الله جهنم مهاده.

يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ۝١٧﴾[(٢)]، وقال جل ذكره: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[(٣)].

معشر المسلمين: ولقد فصل لكم نبيكم محمد ﷺ، وهو الناصح الأمين المبلغ المبين، جملة من هذه الفتن؛ لتعرفوا أنها واقعة في كثير من المجتمعات، وأنكم عرضة لها في سائر الأوقات، لتحذروها فتتقوها دفعاً للضرر، واتقاءً للخطر، ومن لم يعرف الشر أوشك أن يقع فيه. فأخبر ﷺ عن الفتن في الدين بسبب يحدث من المغريات ويثار من الشبهات، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: **«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**.

وأخبر ﷺ عن فتن الجهل والطمع والفوضى فقال: **«يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج**

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١ ـ ٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.

ـ يعني القتل» وأخبر عن الشر الذي يأتي بعد ما جاء به من الخير، وما يأتي بعد هذا الشر من خير، وفيه دَخَن، قيل: وما دخنه؟ قال: «قوم يَسْتَنُّونَ بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكسر» قيل له: فهل بعد ذلك من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها»، قيل: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».

ولقد صدق رسول الله ﷺ؛ فلقد تقارب الزمان من حيث قرب المسافات، وسرعة مضي الوقت، والعلم بالحوادث البعيدة في وقت قصير جداً من الحدث، وقَلَّ العلماء الراسخون في العلم الذين يخشون الله وينصحون عباد الله، وظهرت الفتن شتى من كل نوع وفي كل وجه، حتى ظهر الطعن في الدين، وشكك الناس في سلفهم الصالح، وزهدوا في الدين والآخرة، ورغبوا في الشهوات، وزين لهم فعل المنكرات ومباشرة المحرمات، وأُشرِب الناس حب المال من أي وجه أتى؛ فالحلال عند الكثيرين ما حل باليد أو قدروا عليه، ولو كان بالربا وأثماناً لأمور محرمة في الدين، وتضر بالمسلمين، وعدوا أكل أموال الناس غنيمة، وبخلوا بالزكاة فصدق فيهم قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء بم أخذ المال؛ أمن الحلال أم من الحرام؟».

عباد الله: تسارع كثير من الناس إلى إغراءات البنوك للربا، وتفننوا في أنواع الغش والاحتيال في البيع والشراء، وكثرة دعايات الميسر، والدعوات للسفر لبلاد الكفار لمعاقرة الخمور، والوقوع في الخنا، والتخلق بأخلاق الكافرين، وسمح البعض لسفهائهم ونسائهم

بمشاهدة صور الفساد وأخلاق ضلال العباد، وتسامحوا في أمر نسائهم، وغضوا النظر عن خلوتهم بالرجال الأجانب، ولم يبالوا بما يترتب عليه من تبعات وما توعد الله عليه من العقوبات.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا هذه الفتن؛ فإنها سلّابة للنعم جلابة للمصائب والمحن، وفروا بدينكم، واحفظوا أماناتكم، ولا تستهوينكم دعايات المغرضين وتزيين الشياطين، فإنكم غداً بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاسعغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

فتنة الدجال

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله، وآمنوا بكل ما أخبركم به الله في كتابه أو على لسان نبيه محمد ﷺ مما كان ومما سيكون، ومن ذلك ما جاء عن النبي ﷺ من ذكر الفتن وأشراط الساعة، فإن كل ما ثبت عنه ﷺ فإنه حق يجب اعتقاده والعمل بما يقتضيه إرشاده ﷺ؛ طلباً للعافية في الدين والدنيا والآخرة.

وأبلغ ما يكون من أشراط الساعة وأعظم فتنة بين يديها فتنة الدجال؛ عصمنا الله وإياكم وأهلينا وذرياتنا منها؛ فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال. وأنه ما من نبي إلا وقد أنذر به أمته تنويهاً به وتنبيهاً على خطر فتنته، وتحذيراً للأمة من شبهه، وما يكون معه من الخوارق**».

أيها الناس! ولما كان نبينا ﷺ آخر الأنبياء وأمته آخر الأمم، وتقرر أنه سيخرج في آخر هذه الأمة، قال ﷺ فيه قولاً بليغاً لم يقله

نبي من الأنبياء قبله لأمته، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فبين ﷺ صفته، ونبه على أنواع فتنه، وجلى أمره؛ ليكون كل مسلم على بينة منه، ومعرفة بسبيل العصمة من فتنته، والنجاة من شبهه. فجزاه الله عنا خير ما يجزي نبياً عن أمته لقاء بيانه ونصحه وشفقته.

أيها المسلمون: ومن ذلك ما ثبت عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه، فكان من قوله أن قال: **إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال. وإن الله تعالى لم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته الدجال. وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة. وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكلٌ حجيج نفسه، والله خليفي على كل مسلم. وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعيث يميناً ويعيث شمالاً، يا عباد الله! اثبتوا. فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي:**

إنه يبدأ فيقول: أنا نبي ـ قال عليه الصلاة والسلام: **ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم** ـ قال عليه الصلاة والسلام: **ولا ترون ربكم حتى تموتوا. وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب كافر، يقرأه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.**

وإن من فتنته أن معه جنة وناراً؛ فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح سورة الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم.

وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك

أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني! اتبعه فإنه ربك.

وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقين ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أنه له ربٌ غيري. فيبعثه الله. ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم.

وجاء في رواية أبي سعيد عند مسلم قال رسول الله ﷺ: ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة.

وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمده خواصر وأدرَّه ضروعاً.

عباد الله: وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه الدجال وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، لا يأتيها من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الضريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقي منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فينقي الخبث منها كما ينقى الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص.

فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟ ـ تريد الذين يجاهدون في سبيل الله، ويذبون عن حريم الإسلام، ويمنعون أهله من صولة أعداء الإسلام ـ قال ﷺ: العرب يومئذٍ قليل، وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى عليه السلام، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليقدم عيسى عليه السلام يصلي، فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصلِّ فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم.

فإذا انصرف قال عيسى ابن مريم عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج ـ أي الطيلسان الضخم الغليظ ـ فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً، ويقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللدِّ الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة ـ إلا الغرقد فإنها من شجرهم لا تنطق ـ إلا قال: يا عبدالله المسلم! هذا يهودي فتعال اقتله. . .» الحديث. رواه ابن ماجة في سننه، والحاكم في مستدركه، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر، وقوى إسناده غير واحد من أهل العلم.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا فتنة عدو الله، واعلموا أنه لا عصمة لكم ولا نجاة إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة عبده ورسوله ومصطفاه، ومن ذلك أن تتعوذوا من فتنة الدجال دبر كل صلاة قائلين: اللهم إني أعوذ بك من جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال.

ومن إرشاده ﷺ لاتقاء فتنة الدجال ما أشار به في قوله: «**من سمع بالدجال فلا يأته، ومن حضره فَلينأ عنه، إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات**».

ومن أسباب العصمة منه الإعراض عن الكذب والكذابين، والحذر من تلبيساتهم وشبهاتهم؛ فإنهم من جنسه، ومن أصغى إلى كلامهم وتلبيساتهم كان على خطر من فتنة الدجال. فاحذروا هذه التلبيسات وأصناف المخترعات التي تهدف إلى تضليل الناس وإيقاعهم في الحيرة والالتباس ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[1].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

في تعظيم شأن اليمين

الحمد لله الذي أمر المؤمنين بحفظ الأيمان، وتوعد الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً بأليم العذاب والخسران، أحمده سبحانه على ما شرع، وأعوذ به من الشرك والبدع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الملك القاهر المطلع على السرائر، والعليم بما أكنته الضمائر، فيا ويح من حلف يميناً هو فيها كاذب فاجر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي جاء بكل ما فيه صلاح القلوب وتزكية النفوس، وزجر عن اليمين الفاجرة الغموس، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يعظمون شأن اليمين، ويخشون من عواقب مخالفة المشروع فيها في الدنيا ويوم الدين، وكانوا يضربون أولادهم على الشهادة واليمين وهم صغار؛ تأديباً لهم، وخشية عليهم مما يغمسهم في الإثم في النار.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله ربكم في جميع أموركم وسائر أحوالكم، وعظموا القسم بربكم، ووفروا اليمين في خصوماتكم، واحفظوا أيمانكم، ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم؛ فإن شأن اليمين عند الله عظيم، وخطر التساهل بها أمر جسيم؛ فليست اليمين مجرد كلمة تمر على اللسان، ولكنها عهد وميثاق يسأل عنها العبد بين يدي الملك الديان؛ فيجب

أن يلتزم الحالف صدقه وأن يوفيه حقه، وإلا كان الحالف عرضة للشقاء والخسران.

أيها المسلمون: إنما شرعت اليمين تعظيماً لرب العالمين، وتوحيداً لإله الأولين والآخرين، وقياماً بحق الرب الخالق، وتأكيداً للخبر الصادق، وحفظاً لحقوق العباد، وقطعاً للنزاع والخصام، وكل ما من شأنه أن يسبب الشحناء والقطيعة بين أهل الإسلام، فهي شريعة من شرائع الله المحكمة، وشعيرة من شعائره المعظمة، وبينة للحقوق محترمة.

فالواجب تعظيم اليمين بحفظها عملاً بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾[1]، قال ابن عباس رضي الله عنه: «يريد لا تحلفوا» فمعنى الآية على هذا، النهي عن الحلف، لا ينبغي طلبها ولا عقدها إلا عند الحاجة، فإذا احتيج إليها فينبغي أن تكون محترمة عند المستحلف والحالف معظمة في اعتقادهما، فلا يحلف إلا بالله تعالى، ولا يحلف بالله إلا مع الصدق، وإذا حلف وحنث كفَّر عن يمينه، وليحذر الكذب في اليمين؛ فإنها تقطع الأصل والنسل؛ فتمحو الآثار، وتخرب عامر الديار، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِف له بالله فَلْيرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله».

أيها المسلمون: كثرة الحلف دليل على نقص تعظيم الله وتوحيده في قلب الحالف واستهانته باليمين شأن الجاحد المخالف؛

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

فإن كثرة الحلف من أخلاق الكفار وخصال المنافقين المتوعدين بالدرك الأسفل من النار، ومن تشبه بقوم فهو منهم ويحشر معهم.

أيها المسلمون: ولما كان هذا شأن اليمين كان من لطف الله تعالى بعباده ورحمته بهم أن عفا عن لغو اليمين، وهي التي لا تقصد، كقول الرجل: لا والله، وبلى والله، ونحو ذلك، مما لا يقصد به اليمين، فإن تلك لا تنعقد ولا كفارة لها، قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(١).

وكذلك من رحمته تعالى بعباده ولطفه بهم أن شرع لهم كفارة اليمين المنعقدة والحنث فيها، إذا رأى غيرها خيراً منها، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال للأشعريين وقد طلبوه رواحل للجهاد: «والله لأحملنكم، والله لأحملنكم»، وكان قد حلف قبل ذلك أن لا يحملهم، فقالوا له: لعلك قد نسيت أنك قد حلفت لا تحملنا، فقال: «نعم، إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير، وكفرت عن يميني».

وقال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: «يا عبدالرحمن! إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك»، فمن حلف أن لا يصل قريبه أو أخاه المسلم، أو لا يكلمه، أو لا يدخل بيته، ونحو ذلك مما فيه معصية للخالق وتقصير في حق ذي الحق، فلا ينبغي له أن تمنعه يمينه عن فعل البر وتحقيق الصلة، بل الذي ينبغي له أن يكفر عن يمينه؛ يفعل الذي هو خير أسوة بالنبي ﷺ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

وكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع أي كيلو ونصف من بر أو أرز أو نحوهما، أو كسوتهم ما تصح به الصلاة وتحصل به الزينة من أوسط الناس، أو عتق رقبة؛ فمن لم يجد فصيام هذه الثلاثة، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثم، فالإطعام والكسوة والعتق على التخيير بين هذه الثلاثة، فإذا لم يجدوا واحداً منها فصيام ثلاثة أيام.

أيها المسلمون: أما اليمين الغموس الفاجرة التي يقتطع بها المرء مال أخيه، فلا تنحل بالكفارة أبداً، وإنما تنحل بالتوبة من الخطيئة ورد المظلمة، لا كفارة لها إلا ذلك، وإلا فالمرء على خطر من الوعيد الذي أفصح عنه النبي ﷺ فيما صح عنه من قوله: «**من حلف على يمين يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان**»، قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله، قال: «**وإن كان قضيباً من أراك**»، وقال ﷺ: «**من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**».

أيها المسلمون: ومن التساهل باليمين أن تتخذ وسيلة لترويج السلع، قال رسول الله ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**»، ومن الثلاثة الذين جاء فيهم الوعيد: «**المنفق سلعته بالحلف الكاذب، الذي جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمين ولا يبيع إلا بيمين**».

فاتقوا الله في أيمانكم، وتذكروا مسؤولياتكم عنها يوم منقلبكم، فلا تحلفوا إلا صادقين بارين وذلك حين تترجح المصلحة في عقد اليمين، وما كان منها مخالفاً للشرع فكفروا عنها وأتوا الذي هو خير، واحذروا أن تحول اليمين بينكم وبين الطاعة وفعل الخير

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الغفور الرحيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، إنه هو البر الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

خطبة جامعة

اليمين ـ الإسبال ـ كثرة الكلام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فيا أيها الناس! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وتفكروا في حالكم ومآلكم تعتبروا وتنتفعوا، وإياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً، وإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه، ألا وإن احتقار الذنب من الإصرار، وإن الإصرار من موجبات دخول النار، ولذا رضي الشيطان منكم بما تحتقرون من ذنوبكم، فاتقوا الله وارحموا أنفسكم فإنه لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقيم على خطيئة مهما صغرت وهو يعلم، فإن ذلكم من ضعف الإيمان، ومن أسباب زيغ القلوب وطاعة الشيطان.

أيها المسلمون: من الأمور العظيمة التي يستهين بها بعض الناس اليمينُ، حيث يظنون أنها مجرد كلمة تمر على اللسان، يُقْضَى بها غرض في حاضر الزمان وليس عنها مسؤولية غداً بين يدي الملك الديان، فتجدهم يسارعون إلى اليمين وربما حلف البعض بالله

كاذبين، ومنهم من يحلف بغير رب العالمين، إلى غير ذلك من مظاهر التساهل وصيغ الاستخفاف، والحق أن اليمين عهد مسؤول عنه وميثاق يجب الوفاء به، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾(١).

وجعل سبحانه الاستخفاف باليمين من خصال المشركين والمنافقين كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾(٤)، أي جعلوا الأيمان وقاية يتقون بها ما يكرهون، وذريعة يحصلون بها ما يشتهون، وخدعة يخادعون بها الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم.

أيها المسلمون: احفظوا أيمانكم فلا تحلفوا إلا إذا توجهت عليكم اليمين لإثبات حق أو نفي ضده، وإذا حلفتم فاحلفوا صادقين، ولا تجعلوا اليمين وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل فإن حلف يقتطع مال امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» متفق عليه، وقال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»، وقال: «**من حلف بالأمانة فليس منها**».

فاتقوا الله عباد الله في أيمانكم، لا تحلفوا إلا عندما يوجد ما

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٩.
(٢) سورة القلم، الآية: ١٠.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٤.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٦.

يقتضي اليمين، فإذا حلفتم فاحلفوا صادقين، ولربكم موحدين معظمين، ووقروا اليمين في خصوماتكم ولا تجعلوها ذريعة لاستحلال المحرم عليكم من أموالكم، فإن من اقتطع بيمينه ما لا يحل له فإنما يقتطع نصيباً من النار فليستقلل أو ليستكثر.

أيها المسلمون: ومن الذنوب التي يتساهل بها كثير من الرجال الإسبال في الثياب، وهو منكر عظيم وجرم وخيم، قال فيه ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ما أسفل الكعبين من الإزار في النار**» رواه أحمد والبخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، وروي عنه ﷺ أنه قال للرجل: «**إياك والإسبال فإنه من المخيلة**»، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾[١]، وفي سنن النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا ينظر إلى مسبل**».

أيها المسلمون: ومن الأمور التي يستهين بها كثير من الناس كثرة الكلام الذي لا حاجة إليه، وهو يذهب الوقار، ويقسي القلب، ويوقع في الإثم، قال عمر رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٨.

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بلسانه ويقول: ويحك، قل خيراً تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم. فقيل له: يا ابن عباس! لم تقول هذا؟ قال: إنه بلغني أن الإنسان ليس على شيء من جسده أشد حنقاً أو غيظاً منه على لسانه ـ يعني يوم القيامة ـ إلا من قال به خيراً أو أملى به خيراً.

وصح أن النبي ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم» أو قال: «على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟»، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ـ يعني لا يتثبت ـ يزلّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب». وأخرجه الترمذي بلفظ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار».

وإذا كان هذا خطر اللسان فكم من الناس اليوم من يجعل من المخالفات التي تحدث في المجتمع من بعض الأفراد حديثاً يتحدث به في المجالس، ولا يدري أنه بذلك يشيع الفاحشة في المؤمنين، ويفرح الأشرار والمنافقين، ويثبط عزيمة ضعفاء الإيمان من المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

والواجب على من علم من أخيه زلة أن يستر عليه ويناصحه، أو يرفع أمره إلى ولي الأمر إذا اقتضت المصلحة ذلك، أما أن يتخذ من زلته موضوعاً يتحدث عنه في المجالس فإن ذلك من أقبح الخصال وذميم الفعال، وقد روي أن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم؛ فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته**» رواه الإمام أحمد.

أيها المسلمون: ومن أخطر آفات اللسان وجناياته على أهله وهم لا يشعرون، الخوض في الغيبة، وهي ذكرك أخاك حال غيبته بما يكره، والنميمة التي هي نقل الحديث بين الناس الذي من شأنه أن يغير قلوبهم، وينزع منها المودة والإخاء، ويزرع فيها العداوة والبغضاء.

والغيبة والنميمة من كبائر الذنوب الموجبة لمقت وعقاب علام الغيوب، وقد شبه المغتاب بآكل لحم أخيه ميتاً، وفي الحديث: «**إياكم والغيبة؛ فإن الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل قد يزني ويتوب ويتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه**». وثبت عنه ﷺ أن النميمة من أسباب العذاب في القبر، وأنه لا يدخل الجنة نمام. فالغيبة والنميمة قرينتان مشؤومتان وكلام من قبيح الخصال وفاحش الأقوال، والاعتداء على الناس استهانة برقابة الكبير المتعال، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾[1].

---

(١) سورة القلم، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

فاتقوا الله عباد الله في جميع أحوالكم، وتحفظوا من ألسنتكم، وزنوا أقوالكم، واحذروا من قبيح خصالكم وما تحتقرون من ذنوبكم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

التيمم والمسح على الخفين

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأكمله لنا فأتم به الإنعام، أحمده سبحانه وهو الملك القدوس السلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسر أحكام الدين، وخفف على عباده المسلمين، وضاعف المثوبة على العمل للعاملين، وفتح باب التوبة، ووعد بالمغفرة التائبين المستغفرين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث بالحنيفية السمحة، والمخصوص بختم النبوة وعموم الرسالة وبالمقام المحمود بين يدي ربه يوم تقوم الساعة، صلى الله عليه وعلى أصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق التقوى، فإن حق التقوى أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، فأطيعوا ربكم ولا تعصوه، واذكروه فلا تنسوه، واشكروه ولا تكفروه، تفوزوا بمغفرته ومحبته ورضوانه وجنته، وتنجوا من مقته وعقوبته وناره ولعنته في الدنيا والأخرى.

عباد الله: من نعم الله الجلى ومنحه الكبرى التي ينبغي أن تذكر فتشكر، وأن يتقرب بها إليه فلا تكفر، وهي مما خص الله به هذه الأمة وجعلها من أسباب المحبة والمغفرة والرحمة، ما أشار إليه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(١)].

فاليسر ورفع الحرج في هذه الشريعة المباركة المطهرة شامل لجملة أحكامها، وهو سمة من أبين سماتها، وأمثلة ذلك من نصوص الوحيين كثيرة، وشواهده في أحكامها وفيرة، ومن ذلك ما امتن به الرب الجليل على العباد بقوله في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾[(٢)].

فقد امتن ربنا سبحانه على عباده بيسير أمر الطهارة، والتنبيه على أنواعها وموجباتها بأوجز إشارة، وبيان كيفيتها ومواضعها بأوضح عبارة، فابتدأ بذكر الوضوء وهو الطهارة من الحدث الأصغر كالغائط والبول وغيرهما مما خرج من السبيلين، ويلحق بذلك ما ثبت في السنة نقضه للوضوء على التعيين، وجعل هذه الطهارة خاصة بأربعة أعضاء ظاهرة هي: الوجه، واليدان، والرأس، والرجلان. وذلك ـ والله أعلم ـ لكونها كثيراً ما تتعرض للأذى والغبار، وهي أعضاء تكسب بها الأوزار، فتحتاج إلى التطهير على وجه الكمال خمس مرات في الليل والنهار.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

أيها المسلمون: ثم أردف تبارك وتعالى بذكر الطهارة الكبرى بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾(١) وهي الغسل من الجنابة بتعميم جميع البدن بالغسل بالماء، وموجبه خروج المني بصفته وطبيعته من الذكر والأنثى، وكذلك الجماع مطلقاً، ومثلهما الحيض والنفاس من النساء، وقد بينت السنة كيفية الاغتسال وأن المغتسل يغسل فرجه أولاً، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة حتى إذا وصل إلى رأسه صب عليه الماء ثلاثاً أو حتى يرويه، ثم يغسل شق بدنه الأيمن ثم شقه الأيسر ثم يغسل رجليه، وبهذه الكيفية يتحقق له الغسل والوضوء مع النية.

وكان ﷺ يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع وهو أربعة أمداد، وقد يغتسل بخمسة أمداد، وكان هديه ﷺ الاقتصاد في ماء الوضوء والاغتسال، وحث العباد على الاقتصاد فيهما مع الكمال.

معشر المسلمين: ولما كان المسلمون يتعرضون غالباً في السفر وأحياناً في الحضر لفقد الماء أو العجز عن استعماله لمانع أو داء، شرع التيمم من الصعيد الطيب من الأرض، فقال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾(٢) فهذا هو التيمم؛ يصلي به المسلم ـ إذا احتاج إليه وفعله ـ النفل والفرض؛ فإنه طهارة تامة ينوب عن التطهر بالماء في سائر أحكامه، ولا يبطل إلا بمبطلات الوضوء. وصفته أن يضرب المتيمم وجه الأرض ضربة واحدة بباطن يديه ثم يمسح بهما مرة وجهه وظاهر كفيه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

معشر المسلمين: وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قراءة أخرى صحيحة وهي القراءة بخفض ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾؛ عطفاً على الرؤوس؛ أي امسحوا برؤوسكم وأرجلِكم؛ فتفيد هذه القراءة دلالة الآية على رخصة المسح على الخفين والجوربين ونحوهما من التساخين، وهي رخصة تواترت فيها الأحاديث عن النبي ﷺ حيث بلغت أربعين حديثاً من رواية سبعين صحابياً كلهم أخبر أنه رأى النبي ﷺ مسح على خفيه، وليس بينهم ـ بحمد الله ـ اختلاف في ذلك، واتفق عليها من بعدهم التابعون وأتباعهم وأئمة الهدى، كذلك وقرروها في عقيدتهم تنبيهاً على أن من أنكرها فقد خالف أصولهم واتبع غير سبيلهم.

وثبت أيضاً أن النبي ﷺ مسح على الجرموقين ـ وهما الشراب ونحوهما من التساخين ـ عن تسعة من أصحاب النبي ﷺ ولم يعرف لهم مخالف من الصحابة. فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فتوضأ، فأهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما. متفق عليه. وعنه أيضاً رضي الله عنه أن النبي ﷺ توضأ ومسح على الجوربين والنعلين. صححه الترمذي.

أيها المسلمون: ولابد أن يكون الملبوس من خف أو جورب ضافياً على القدم إلى الكعبين، لا يقصر عنهما حتى يكون ساتراً لما يجب غسله؛ ليكون المسح نائباً عن الغسل، وهذا مأخوذ من مسمى الخف والجورب فإنه لا يطلق في اللغة ولا في اصطلاح الشرع إلا على ما كان ساتراً للقدم كله إلى الكعبين، أما النعلان والخفان المقطوعان وكل ما يلبس دون الكعبين فلا يصح المسح عليه. ومن

كان عادته خلع الخفين عند دخول المسجد والمجلس ونحوهما فينبغي له أن يقتصر على مسح الجوربين دون الخفين، وإنما يشرع المسح على الخفين في الطهارة من الحدث الأصغر كالبول والريح والغائط ونحوهما، أما من أصابه حدث أكبر كالجنابة والحيض من المرأة فلابد من نزع خفيه وغسل رجليه ليستكمل طهارته لحديث صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: كان يأمرنا ـ يعني النبي ﷺ ـ إذا كنا سفراً ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، لكن ليس من غائط وبول ونوم.

أيها المؤمنون: وتبتدىء مدة المسح من أول مسح في طهارة من حدث يلي لبس الخفين أو الجوربين إلى مثل ذلك الوقت من اليوم الثاني في حق المقيم، ومن اليوم الرابع في حق المسافر، لما ثبت عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوم وليلة للمقيم**» يعني في المسح على الخفين. رواه مسلم.

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نمسح على الخفين إذا نحن أدخلناهما على طهر ثلاثاً إذا سافرنا، ويوماً وليلة إذا أقمنا.

فالأحاديث جاءت بألفاظ: يمسح، ونمسح، وأمر بالمسح، إلى غير ذلك، مما يدل على أن ابتداء المدة متعلق بالمسح لا باللبس، ولأنه بداية التمتع بالرخصة.

فاتقوا الله عباد الله، واشكروه على إنعامه وما يسر من أحكامه، وتوبوا إليه من كل ذنب وخطيئة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً

نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين والناصح المبين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته وسلك سبيله بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق التقوى، واقبلوا ما بُعث به نبيكم محمد ﷺ إليكم من الدين والهدى، واعلموا أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، وكونوا على بينة من أدلته وأحكامه حتى لا تجفوا أو تتنطعوا، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون»؛ فمن قصر في الواجب عليه فقد جفا، ومن زاد على المشروع فقد تنطع وغلا، وخير الأمور أوسطها، فمن عرف شيئاً من أحكام هذا الدين عن بينة فليعمل بها، وليعلِّمه من لا يعلمه، ولا يلزم، ومن لا يعلم فعليه سؤال أهل الذكر بالبينات والزبر كما هو في

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

القرآن العظيم مستطر.

عباد الله: ومن الرخص التي تبين يسر هذا الدين ولطف الله تعالى بعباده المؤمنين أن الله تعالى قد شرع المسح على الجبيرة عند الطهارة الكبرى أو الصغرى، والجبيرة هي ما يربط على كسر أو جرح في جسم الإنسان من خشب أو خرق أو أي شيء لاصق لصالح الموضع الذي يؤلمه، فإذا وصل المتوضىء أو المغتسل إلى ذلك الموضع الذي عليه الجبيرة فإنه يكتفي بمسحه فقط، فلا يحتاج إلى غسله ولا إلى التيمم عنه.

والأصل في ذلك ما رواه أبوداود والدارقطني عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في صاحب الشجة: «**إنما كان يكفيه أن يعصب على جرحه خرقة ويمسح عليها ويغسل سائر جسمه**»، ويعضده حديث علي رضي الله عنه في المسح على الجبائر بالماء، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على هذا الحكم، وهو المسح على الجبيرة، رخصة من الله تعالى لعباده.

ومما ينبغي أن تعلموه فيما يتعلق بالجبيرة ثلاثة أمور:

الأول: أنه لا يشترط أن تكون الجبيرة ساترة لجميع العضو، بل ينبغي أن تكون ساترة لموضع الحاجة وهو الجرح، وأن لا تزيد عن ذلك قدر الإمكان.

الثاني: أن الجبيرة يمسح عليها كلها.

الثالث: ليست مدة المسح مؤقتة بيوم أو يومين، بل تمسح عليها دون توقيت ما دامت الحاجة داعية إلى بقائها.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

في فضل يوم الجمعة

الحمد لله العزيز الغفار، الذي يخلق ما يشاء ويختار، أحمده سبحانه على نعمه الكثيرة الغزار، وأشكره اعترافاً بفضله وتقييداً لنعمه واستزادة من جوده وكرمه المدرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله الأولين والآخرين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي اصطفاه على العالمين وأكمل به رسالات النبيين، وجعله إماماً للمتقين، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق تقاته، وسارعوا إلى مغفرته وجناته تفوزوا بمرضاته وأنواع كراماته.

معشر المسلمين: اعلموا أن الله تعالى قد خصكم وشرفكم باتباع محمد ﷺ خير المرسلين، وفضلكم به وبرسالته، وامتن عليكم ببركة رسالته بفضائل وخصائص على جميع العالمين، لم يُعطَها أحد من الأنبياء قبله، ولم تحصل لأمة قبل أمته، ومن هذه الفضائل وتلكم الخصائص هذا اليوم المبارك الذي هو يوم الجمعة الذي هو عيد الأسبوع، وخير يوم طلعت عليه الشمس، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله

عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة».

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «نحن الآخرون والأولون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع؛ اليهود غداً والنصارى بعد غد»، وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة».

فهذه الأحاديث الصحيحة وأمثالها كثير في دواوين السنة تبين لكم شأن هذا اليوم عند الله وعظيم منته سبحانه به على هذه الأمة؛ حيث هداها له، واختصها به، ومتعها بفضائله، وما ادخر لها فيه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾[1].

أيها المسلمون: وإنما ينال فضائل هذا اليوم ويفوز بما أودع الله فيه من الكرامات وجزيل الهبات، والسبق إلى الصفوف الأول في الجنات، من تمسك بسننه وآدابه، وحذر من كل ما من شأنه تفويت فضله وثوابه.

ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ـ يعني في الساعة الأولى ـ فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة،

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون».

وفي حديث آخر قال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر ـ يعني المبكر ـ إلى الجمعة كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة. فإذا خرج الإمام طووا صحفهم وجاءوا يستمعون الذكر».

عباد الله: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الساعة الأولى في الجمعة هي أول خمس ساعات قبل دخول الإمام لصلاة الجمعة. فتأملوا التفاوت بين الناس في يوم الجمعة، وأن التفاوت في الأعمال على قدر التفاوت في الهمم، وشتان بين ثواب من يهدي بدنة يتقرب بها إلى الله تعالى ومن يهدي بيضة؛ فاعتبروا يا أولي الأحلام.

وعلى هذا النحو يكون التفاوت في المنازل في الجنة، فأقربهم إلى حضرة ذي الجلال والإكرام أسبقهم في الدنيا إلى ما فيه مغفرة الآثام وتحصيل الحسنات العظام. صح في الحديث عن النبي ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء الله أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها»، وفي رواية أخرى: «وزيادة ثلاثة أيام».

وفي السنة عنه ﷺ قال: «من غسّل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ، كان له

بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

أيها المؤمنون: تنافسوا ـ رحمني الله وإياكم ـ في تحصيل فضائل هذا اليوم. ومن أعظم أسباب ذلك الأخذ بسنة النبي ﷺ فيه، مع الإخلاص لله تعالى في القصد، والحذر من أنواع الأذى وموجبات اللغو فيه، فنظفوا أبدانكم، والبسوا حسن ثيابكم، واستاكوا وتطيبوا من الطيب إن كان عندكم، واخرجوا إلى الجمعة مبكرين محتسبين عند الكريم الوهاب جزيل الثواب وحسن المآب، وتنافسوا في الصف الأول ثم الذي يليه دون إيذاء من أحد منكم لأخيه، وصلوا ما كتب لكم، واقرؤوا كلام ربكم وتدبروه، وأكثروا ذكر الله، واسألوه تفلحوا وتربحوا، وإياكم والتخلف عن هذا الخير أو التهاون بشيء من تلك السنن، ففي الصحيح: «لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله»، وفيه: «من رغب عن سنتي فليس مني».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على هداه، أحمده سبحانه، يهدي من استهداه ويجيب من دعاه، ويجير من لاذ بحماه، وأشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٤.

وحده لا شريك له في إلاهيته وعبادته، كما أنه لا شريك له في ربوبيته، لا مثل له ولا كفو له في أسمائه وصفاته وأفعاله وأنواع كمالاته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد البريات والمبعوث بأكمل الرسالات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الأمة في المسارعة إلى الخيرات، والحذر من الوقوع في المنهيات، والتوبة إلى الله عن قريب من الخطيئات.

أما بعد:

أيها الناس! اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الجمعة فريضة الله على عباده، لا تسقط عن الرجال إلا من عذر شرعي من مرض أو سفر مباح، ولقد ورد من الوعيد الشديد في ترك الجمع والتهاون بها ما فيه مزدجر لمنزجر كقوله ﷺ: «**لينتهين أقوام عن تركهم الجمعات أو ليختمن على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**»، وفي الحديث الآخر: «**من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه**»، وروي: «**من ترك ثلاث جمع من غير عذر كتب من المنافقين**»، ويشمل هذا الوعيد كل من ترك الجمعة لغير عذر شرعي.

فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا على أداء الجمع، واملؤوا وقتها بواجب الذكر وعظيم الشكر والدعاء بالبر، ففي الصحيح: «**إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه، وإياكم والتأخر في المجيء إلى الجمعة فإنه يفوت المغنم ويوقع في المأثم**»، وإياكم وتخطي رقاب الناس ففي الحديث: «**من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم**»، وتجنبوا الكلام حال

خطبة الإمام فإنه يفوت فضل الجمعة، وهو من إيذاء المتكلم لمن يتحدث معه ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[١].

وأكثروا من الصلاة والسلام على خير الأنام يوم الجمعة لقوله ﷺ: «أكثروا من الصلاة عَلَيَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة».

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

من حلية الصوم اجتناب الآثام وأكلِ الحرام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق تقواه، واشكروه سبحانه على سابغ نعماه وجليل منحه وعطاياه، وتذكروا أنكم في شهر كريم وموسم عظيم، خصه الله تعالى من بين الشهور بفضائل عظيمة، وخصال من الخير جسيمة، وبلغكم إياه، وأوضح لكم ما يحبه فيه ويرضاه، ومكنكم من ذلك لينظر كيف تعملون. فأروا الله تعالى من أنفسكم خيراً، واعملوه بتقواه وطاعته شكراً، وادخروا ما أعدَّ على ذلك من الأجور عنده ذخراً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾(١).

عباد الله: صوموا شهركم، واحفظوا صيامكم مما يبطله أو يخل به أو ينقص ثوابه، وعن كل ما لا يليق بالصائم. قال ﷺ:

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

«وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»، فإذا كان الصائم منهيًا عن المبالغة في الاستنشاق احتياطاً للصيام مع أنه من الأمور المشروعة، فلأن يحتاط المسلم عن سحب برواز من دمه للتحليل أثناء النهار أولى؛ لأن إخراج الدم قصداً ملحق بالحجامة، وقد قال ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم»، وهكذا ينبغي أن يتجنب الصائم حال صيامه أخذ شيء من الإبر الطبية التي تشتمل على دواء خالطه شيء من الماء أو غيره لتحليله، وسهولة سريانه في العرق أو الوريد، فإن ما يشتمل عليه البرواز من الماء ليس أقل مما يحتمل أن يدخل من أنف المتوضىء إلى جوفه في المبالغة في الاستنشاق. وقد قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقال أيضاً: «من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه».

أيها المسلمون: ومما يتعين على الصائم اجتنابه كل وقت، وحال الصيام أشد؛ الكذبُ، والغيبة، والنميمة، وسماع الغناء، ومشاهدة الأفلام الماجنة، والصور العارية؛ فإن هذه الأمور تقسي القلوب، وتثبط عن الطاعة، وتهون الوقوع في المعصية، وهي من الزور والجهل وأنواع الباطل. وقد قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، وقال ﷺ: «إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار».

وثبت عن النبي ﷺ التنبيه على حرمة الغناء، وقرنه بشرب الخمر وفعل الزنا، كما ثبت في صحيح البخاري رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر ـ يعني الفروج بالزنا ـ والحرير والخمر والمعازف ـ يعني استعمال الأغاني وآلاتها».

ففي قوله ﷺ: «يستحلون» أي يفعلونها مع حرمتها فعل المستحل لها، وذكر المعازف مع الزنا والخمر تنبيهاً على تأكيد حرمتها، وأن المؤمن المصلي الصائم يجتنب سماع الأغاني كما يجتنب فعل الزنا وشرب الخمر؛ حذراً من سخط الله تعالى، وما رتب عليها من العقوبات الشرعية والقدرية. ويكفي في ذم سماع الأغاني أن الله تعالى سماها لهو الحديث، وأخبر أنها تضل عن سبيل الله، وتعرض صاحبها للعذاب المهين، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[1]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله غيره، إن هذه الآية في الغناء، ثم قال: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع.

أيها المسلمون: والغش في البيع والإجارة والصناعة، وتعاطي الربا والرشوة كل هذه خيانة، وضياع للأمانة، وظلم للناس، ومن وسائل الكسب الحرام الذي يقسي القلب ويفسده، وينزع بركة الرزق ويمحقه، وآكله لا يستجاب له دعاء، ولا تقبل منه صدقة، ولا يثاب على نفقة ولا صلة، قال ﷺ: **«من غشنا فليس منا»**. وقال ﷺ: **«إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»**، وذكر ﷺ **«الرجل أشعث أغبر يطيل السفر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك»**.

فالصائم أحق الناس وأولاهم بالبعد عن هذه الحيل الدنيئة

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٦.

الآثمة، والمعاملات الظالمة الجائرة؛ فإن الله تعالى قد ختم آيات تشريع الصيام والقيام والاعتكاف بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[1]، تنبيهاً منه سبحانه على أن من صام عن الحلال ابتغاء مرضاة الله فلا ينبغي له أن يتقوى على الصيام بالسحور، ويتحلل منه بالفطور من طعام وشراب ثمنه من كسب حرام.

فاتقوا الله عباد الله في جميع أموركم، واتقوه في صيامكم، واهتدوا بهدي الصالحين من أسلافكم، قال جابر رضي الله عنه: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ فإنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٧٠.

في الاجتهاد في العشر وقيام ليلة القدر

الحمد لله غافر الذنب مقيل العثار، أحمده سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات وهو الواحد القهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي خلق الجن والإنس لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، ليثيبهم رضاه وجنته، فهنيئاً للمصلين الصائمين المخلصين المنفقين أموالهم ابتغاء وجهه سراً وعلانية بالليل والنهار، والمتجافية جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، والمستغفرين بالأسحار.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربه، وأعظمهم قياماً بعبادته وذكره، وشكراً لنعمته، وبعداً عن معصيته، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الأمة في السير على سنته وأقومهم بدينه من بعده وتبليغ رسالته.

أما بعد:

فيا أيها الناس! أوصيكم ونفسي بلزوم تقوى الله، فقد أفلح عبد راقب مولاه فاتقاه، وسارع إلى طاعته وما فيه رضاه، واستجاب لما به وصَّاه فكان داخلاً في عداد المتقين المبشرين بقول الحق في الذكر المبين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[1].

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

أيها الناس! اعلموا أن الله تعالى قد أعطاكم الدنيا ومكنكم منها لتطلبوا بها الأخرى حتى تكونوا من أهل التجارة الرابحة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها وتشتغلوا بها عما خلقكم الله له؛ فإن الدنيا فانية والآخرة باقية، فلا تشغلنكم الفانية عن الباقية، بل آثروا ما يبقى وانهجوا نهج أولي التقى، وتذكروا على الدوام المصير المحتوم، وما بعده من أهوال القبر والبلى والغربة تحت أطباق الثرى، بعد مفارقة القريب والحبيب والطارف والتليد. وتذكروا أهوال البعث والحساب، والوقوف بين يدي رب الأرباب حين يحاسب العبد على النقير والفتيل والقطمير، ويجزى بما قدمت يداه، ولا ينفع حميم حميماً إلا من رحمه مولاه: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾[1].

عباد الله: تذكروا الآن أنكم في العشر الأخير من شهر الصيام والقيام، وكم وعد الله الصائمين القائمين المحتسبين الحافظين لحدود الله من مغفرة عظيم الآثام، وأنواع الإكرام في الجنة دار الرضوان والسلام، فاختموا شهركم بخير الأعمال وجليل الخصال، طاعة وشكراً لذي الكرم والجلال.

أكثروا تلاوة القرآن فإنه يهدي للتي هي أقوم، وصلوا الإحسان بالإحسان؛ فإن ربكم بالمحسنين أرحم، وأكثروا ذكر الله؛ فإن الله قد وعد الذاكرين والذاكرات مغفرة وأجراً عظيماً، وادعوا الله مخلصين له الدين لأنفسكم وإخوانكم من عباده الصالحين الأحياء والميتين، فإن

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٧.

ربكم تبارك وتعالى قريب من داعيه ويرضى عنه إذ يناجيه، فكم من معجل الخيرات ومؤجلها يدخر له ويعطيه، فآمنوا بربكم واستجيبوا له لعلكم ترشدون، وأطيعوه وأخلصوا له لعلكم تفلحون، وتذكروا بتصرم شهركم فناء الأعمار، وبسرعة انقضاء لحظاتكم سرعة الوقوف بين يدي الواحد القهار، فقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه، وتنافسوا في الصالحات تحمدوه، وتوبوا إلى الله من أوزاركم فإنها حمل ثقيل، وإن أمامكم عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا المخفون، وإن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، وإن منزل أحدكم من الجنة بحسب عمله الصالح الموافق للكتاب والسنة، فأكثروا من الصلاة وتنافسوا في جزيل الصدقات تفوزوا برفيع الدرجات.

ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«إنك لن تعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة»**، وفيه أيضاً عنه ﷺ قال: **«إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة»**، وثبت عنه ﷺ قال: **«إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك»**، وأقرَّ ﷺ الذين قالوا: ذهب أهل الدثور أهل الأموال بالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم بسبب ما هم عليه من جلائل الأعمال من الصلاة والصيام والصدقة بفضول الأموال. ولما علموا بفضيلة الذكر بعد الصلاة ونافسوا فيه الفقراء قال ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾(١).

أيها المؤمنون: اختموا شهركم بالتنافس بجليل المشروع من الطاعات تفوزوا بعظيم ما ادخر الله لكم من المثوبة في هذه الليالي

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

المباركات المعدودات المعلومات؛ فإن الله تعالى قد ادخر لكم منها أجوراً كثيرة وخيرات وفيرة على أعمال صالحة يسيرة، فقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً خير من عبادة في ألف شهر خالية منها. فمحيي هذه الليالي يفوز بالغنائم، وتغفر له العظائم، ويعتق من النار، ويحشر في زمرة الأخيار، ولذا كان نبيكم ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر وأيقظ أهله وأحيا ليله، فيجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها؛ لعلمه بجليل ما ادخر الله لهذه الأمة فيها.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى إخفاء ليلة القدر في آخر هذا الشهر؛ فإنها قطعاً في تلك الليالي لكنها غير معينة لنا بحال؛ ليتميز المؤمنون المسارعون في الخيرات المتنافسون في أسباب الفوز بالمغفرة والجنات، وما أعد الله تعالى فيها للقائمين من جليل الهبات وجزيل الأعطيات، ممن يتبعون الشهوات ويستثقلون الطاعات، ويزداد ملّهم من الشهر كلما توالت اللحظات ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١﴾[١]، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[٢].

فأروا الله من أنفسكم خيراً، وادخروا عملكم الصالح عنده ذخراً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣٥﴾[٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٢) سورة العنكبوت: الآية: ٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[1].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة المؤمنون: الآيات: ٥٧ ـ ٦١.

مما ينبغي في ختام شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي الأمين والرسول الكريم، المبعوث رحمة للعالمين وإماماً للمتقين، وحجة على المكذبين المعرضين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا ربكم تبارك وتعالى تقوى من رضي به ربًّا وإلهاً، وزكوا أنفسكم بفعل طاعته والإخلاص في عبادته، وصدق التوبة إليه طمعاً في عظيم مغفرته وواسع رحمته، فقد أفلح عبد نصح لنفسه فزكاها، وخاف مقام ربه فنهى نفسه عن هواها، وقد خاب عبد دسَّ نفسه إذ أتبعها هواها حتى في معصية مولاها.

عباد الله: تنافسوا دهركم في صالح الأعمال، وبادروا بها الأعمار قبل انقضاء الآجال، واختموا شهركم بما يرضي رب العالمين من أنواع ما شرع لكم من الطاعات، والتوبة إلى الله تعالى مما أسلفتم من الخطيئات؛ فإن العاقل الرشيد هو الذي يغتنم فرص العمر ومواسم الخير بجلائل الطاعات، ويتبع السيئات بالحسنات؛ فإن

الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين.

واعتبروا بسرعة مضي الشهر سرعة انقضاء العمر، ومفاجأة الانتقال من المنزل إلى القبر، وكم لكم من جليل المواعظ والعبر فيمن تعرفون من خواصكم ممن فارقوا الدور والقصور، وسكنوا الأجداث والقبور في وقت قصير وحادث يسير، فخذوا العبرة واغتنموا المهلة؛ فإن السعيد من وُعظ بغيره فاتعظ، وعقل عن الله أمره فخافه وأدى ما عليه افترض، وإن الشقي من فرط في ماضيه، ولم ينتفع من أيامه ولياليه، ولم يتدارك بقية عمره في الإنابة إلى خالقه وباريه، والمسارعة في التقرب إلى من أنعم عليه بما يرضيه قبل وقوفه رغم أنفه بين يديه.

أيها المسلمون: تذكروا أنكم الآن في ختام شهركم، فمن كان مسيئاً فليتب إلى الله توبة نصوحاً ما دام باب التوبة مفتوحاً، وليبادر قبل غلق الباب وطيِّ الكتاب، ومن كان في شهره إلى ربه منيباً، وفي عمله مصيباً، فليحكم البناء، وليشكر المنعم على النعماء، ولا يكن كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

عباد الله: لازموا طاعة الله في كل الأوقات، فاعمروا المساجد بالمحافظة على الصلوات وشهود الجمع والجماعات في سائر الأوقات؛ تفوزوا بما وعد الله به في محكم الآيات: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٩ ـ ١١.

واستكثروا من الصدقات وذكر الله تعالى في سائر الأوقات، فإن الله تعالى قد وعد المتصدقين والمتصدقات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، مغفرة وأجراً عظيماً إيماناً واحتساباً، واتلوا القرآن واعملوا به؛ فإنه يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة، وقائداً لهم إلى دار الكرامة.

ولازموا قيام الليل؛ فإنه مرضاة لربكم، ودأب الصالحين قبلكم، ومطردة للداء من أجسادكم، وفي مثوبته قال ربكم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[١].

وأتبعوا صيام رمضان بصيام ست من شوال، وما جاءت به السنة من بيان فضل صومه من الأيام؛ فإن من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يعدل صوم الدهر، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وصوم يوم عرفة يكفر الله به السنة الماضية والباقية، وصوم يوم عاشوراء يكفر الله به السنة التي قبله، وما أجلَّ فضل الله على عباده.

وهكذا يا عباد الله، فإن عمل المؤمن متصل بعد رمضان؛ لأنه مأمور بعبادة ربه في كل أوان، بما شرع له الرحمن من خصال البر والإحسان، وموجبات سكنى الجنان، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[٢]، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[٣].

أيها المسلمون: لقد شرع الله لكم في ختام شهركم عبادات

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٣) سورة مريم، الآية: ٣١.

تتقربون بها إلى الله تعالى شكراً، وتمحون بها وزراً.

فمن ذلكم التكبير ليلة العيد بعد الفراغ من صلاة العيد، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[(١)]، فإن التكبير في تلك المناسبة من الشعائر العظيمة والسنن الكريمة، ومن آيات شكر النعمة، وأجلِّ أسباب الرحمة، فأكثروا منه وأظهروه قائلين: الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلا الله. والله أكبر. الله أكبر ولله الحمد. فأعلنوه في بيوتكم، وأسواقكم، ومنتدياتكم؛ وصلاتكم؛ شكراً لرب العالمين، وإظهاراً لشعائر الدين، وإغاظة للمنافقين والكافرين، وإحياءً للسنن المندثرة حتى يكون لكم أجر ذلك ومثل أجر من اقتدى بكم إلى يوم القيامة.

فكبروا ربكم، وأخرجوا زكاة فطركم؛ صاعاً عن الواحد منكم من كبير أو صغير، ذكر أو أنثى، تعطونه الفقراء والمساكين ومن يقبله من المسلمين؛ تطهيراً لصيامكم، وتكفيراً لآثامكم، وتكميلاً لأجركم، وعملاً بسنة نبيكم، ومواساة لمحاويجكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه يحب التوابين وهو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

الحج إلى بيت الله الحرام

الحمد لله الذي شرع لعباده حج بيته الحرام، وجعله شعيرة متحتمة على الأمة تقيمها كل عام، وهو من الدين أحد أركان الإسلام.

أحمده سبحانه خلق وقدر، وشرع ويسر، فجعل الحج فريضة على المستطيع من الناس مرة في العمر، ومن زاد استزاد من البر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يباهي بالحجيج عشية عرفة ملائكته، ويشهدهم أنه قد منحهم مغفرته، وأعطاهم السؤال وحقق لهم الآمال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من حج واعتمر وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، ووقف بعرفة والمشعر، ورمى الجمرات ونحر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وحجوا بيته الحرام وعظموه، واتخذوا الشيطان عدوًّا وأغيظوه؛ بالمسارعة إلى الخيرات، والتوبة إلى الله من الزلات، وذكر الله في سائر الأوقات، والوقوف ـ إذا تيسر لكم ـ مع حجيج المسلمين في عرفات، فقد صح عن جابر رضي الله عنه عن نبيكم ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم عرفة أن الله ينزل

إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي؛ أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم. فتقول الملائكة: يا رب! فلان كان يرهق ـ أي يقع في شيء من المعاصي ـ وفلان وفلانة، قال: يقول الله عز وجل: لقد غفرت لهم». قال رسول الله ﷺ: «فما من يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة».

وصح عن أنس رضي الله عنه قال: وقف النبي ﷺ بعرفات وكادت الشمس أن تغرب فقال: «يا بلال! استنصت لي الناس»، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ، فأنصت الناس، فقال: «معاشر الناس! أتاني جبرائيل آنفاً فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله غفر لأهل عرفات وأهل المشعر وضمن عنهم التبعات» فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! لنا خاصة؟ قال: «هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة»، فقال عمر رضي الله عنه: كثر خير الله وطاب.

وفي الموطأ بسند صحيح عن طلحة بن عبدالله بن كريز مرسلاً أن رسول الله ﷺ قال: «ما رُئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزُّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما كان من يوم بدر».

عباد الله: لشهود هذه الفضائل الكبيرة وغيرها من المنافع الكثيرة فرض الله عليكم الحج مع الاستطاعة، وجعله نافلة بعد الفريضة إلى قيام الساعة، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1]، وقال جل ذكره: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

﴿رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾(١).

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، وقال ﷺ: «الحج مرة، فمن زاد فتطوع»، وذلك كله من رحمة الله بالعباد ولطفه بهم في المعاش وفي المعاد.

أيها المسلمون: الحج عبادة جليلة وفريضة عظيمة، تشمل أنواعاً من التقرب إلى الله تعالى في غاية من الذل والخضوع والمحبة له سبحانه، في أوقات ومناسك معظمة ومواطن محترمة، يبذل المسلم من أجل شهودها النفس والنفيس، ويتجشّم الأسفار ويتعرض للأخطار، وينأى عن الأوطان ويفارق الأهل والأولاد والإخوان، كل ذلك محبة لله تعالى وشوقاً إليه، وطاعة له وتقرباً إليه، ولذلك يتكرم الله تعالى على عباده فيجازيهم على هذا الإحسان بالإحسان الذي صحت به الأخبار وفصلته الآثار.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». وفي الصحيحين أيضاً عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حج ـ وفي لفظ مسلم: من أتى ـ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كهيئته يوم ولدته أمه» يعني نقياً من الذنوب.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

الحديد والذهب والفضة، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر وغنيمة».

أيها المؤمنون: وفي مناسك الحج والوقوف بمشاعره يتحقق للعبد ـ من الرغبة في الخير ونشاط الهمة في أنواع من الطاعات؛ من صلاة، وطواف، وصدقات، وذكر، وتلاوة للقرآن، وإحسان إلى الناس بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة ـ ما يرجى أن تتضاعف عليه الأجور، وترتفع الدرجات، ويحط من الخطيئات ما لا يدخل تحت حصر، ولا يحيط به وصف.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة في المسجد الحرام خير ـ وفي لفظ: أفضل ـ من مائة ألف صلاة فيما سواه»، فإذا كان هذا في الصلاة فيرجى أن تكون الأعمال كلها مضاعفة كذلك نظراً لشرف المكان وفضل الزمان وكمال الحال.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»، وقال: «من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»، وقال: «فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم».

فاتقوا الله عباد الله، وهلموا لشهود تلك المنافع، وعظموا الرغبة إلى ربكم، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

من ثمرات المسارعة إلى الخيرات

الحمد لله الذي أمر بفعل الطاعات وترك السيئات، وحث عباده على اغتنام الأوقات والمواسم الفاضلات، بالاستباق للخيرات، والمنافسة في جليل الأعمال الصالحات، أحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله على كل نعمة من نعمه، حمداً يملأ الأرض والسماوات وما بينهما وعدد الكائنات.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الذي يغفر الزلات، ويمحو الخطايا، ويكفر السيئات، ويضاعف الحسنات، ويرفع الدرجات.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل الداعين إلى الخيرات، وأشرف السابقين إلى الأعمال الصالحات، والفائزين بأعلى الدرجات، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم لقائه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[1]. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[1].

أيها المؤمنون: بادروا نعمكم قبل زوالها، وعافيتكم قبل تحولها، وأعماركم قبل انقضائها، وحياتكم قبل فنائها؛ بالتوبة النصوح إلى ربكم من جميع الخطايا والسيئات، واستباق الخيرات، فإن الفرص لا تدوم، وإن الصوارف كثيرة، والعوارض محتملة، وإن ما مضى من العمر لا يمكن استرجاعه، وما فات من خير لا يمكن تداركه، ولكن عليكم بالجد في تحصيل نظيره، والحزم في اغتنام ما بقي من العمر بمثله، فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا فرص الحياة جاهدين لكسب الغنائم، والبعد عن المغارم، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فتنافسوا في الخير، وتعاونوا على البر، تحظوا بالمغفرة والأجر العظيم، فقد وعدكم ربكم بذلك، وهو البر الرحيم.

عباد الله: إن المرء في مسارعته إلى الخير، ومنافسته في خصال البر، إخلاصاً لله تعالى، واتباعاً لرسوله ﷺ، يفوز بجوائز ثمينة، لا تعدل الدنيا بما فيها واحدة منها، فكيف بجميعها، والكثير من نظيرها:

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣١ ـ ١٣٦.

الأولى: أنك تشغل النفس بالخير الذي يصلحها وينفعها في الدنيا والآخرة فإن النفس لابد لها من نية وحركة، وهي في الأصل أمارة بالسوء، إلا ما رحم ربي، فإن لم تشغلها الخير شغلتك بضده، فأوردتك المهالك، فاتق شرها بشغلها بالخير، حتى تصير نفساً مطمئنة، ترجع إلى ربها راضية مرضية، تفتح لها أبواب الجنان يوم الرجوع إلى الرحمن.

الثانية: أن الاشتغال بالخير الحاضر الذي يعرض للمرء أو يدعى إليه يفتح الله به عليه أنواعاً من الخير لم تكن تخطر له على بال، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2]. وفي الأثر: «من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يكن يعلم».

الثالثة: أن الله يتكرم على السابق إلى الخيرات فيجعله إماماً يقتدى به، ويعطيه مثل أجور من تبعه، كما في صحيح مسلم رحمه الله عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء». وتفسير ذلك بما رواه مسلم رحمه الله أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». وهذا عطاء عظيم من رب كريم ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[3]. ﴿ وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٧.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٤.

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[١].

الرابعة: أن من كانت عادته المسابقة إلى الخير إذا حال بينه وبين فعل الخير عارضٌ من مرض، أو سفر، أو نحوهما من العوارض، كتب الله له عمله الذي اعتاده، ولو لم يعمله، لما في صحيح البخاري رحمه الله، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً**».

الخامسة: أن المرء إذا استمر على المسابقة إلى الخير والمنافسة فيه اعتاده فصار سجية له يشهد له بذلك عند الله، وعند الخلق حتى يختم له به ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾[٢].
وقد جاء في صحيح مسلم رحمه الله عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**» فإذا جاءه الموت وهو من السابقين بعث يوم القيامة من السابقين، فهنيئاً له قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[٣]. اللهم اجعلنا منهم ووالدينا وذوينا برحمتك إنك أنت أرحم الراحمين.

أيها الناس: تلكم خمس جوائز يفوز بها من سابق إلى الخيرات، ونافس في جليل الأعمال الصالحات، وعد الله أهلها برفيع

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠، ١١.

الدرجات، وخصهم بعظيم الأجور، يوم يبعث ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، إن ربهم بهم يومئذ لخبير، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، يحب التوابين، ويحب المحسنين، أحمده سبحانه على فضله المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، والناصح المبين، سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يسارعون إلى الخيرات، ويتنافسون في رضا رب الأرض والسماوات.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، ولا تشغلكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة مولاكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها

---

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨.

قبل أن تُعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا، فإنها موقف عدل، واقتضاء حق، وسؤال عن واجب، ولقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار، وطوبى لعبد اتقى في هذه الدنيا ربه، وناصح نفسه، وقدم توبته، وأخر شهوته، قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة، فيصبح في بطن موحشة عفراء، مدلهمة ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنة ولا ينقص من سيئة، ثم ينشر فيحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو إلى نار لا ينفذ عذابها.

أيها الناس: استبقوا الخيرات ما دمتم في وقت الإمهال، وتزودوا بصالح الأعمال فقد أزف الرحيل والانتقال، واعلموا أنه من يعف يعفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يصبر يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذبه؛ ولقد يسر الله لكم أصناف الخير، وهيأ لكم خصال البر، ففي الصحيحين عنه ﷺ قال: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»**. وقال ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»**.

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة»**. وعند البخاري رحمه الله في صحيحه عن رسول الله ﷺ: **«أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة»**.

وعند مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل،**

فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار».

وأخبر ﷺ عن رجل ممن كان قبلنا وجد كلباً يلهث يأكل الثرى من العطش، فنزل بئراً فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة. متفق عليه واللفظ للبخاري. وقال ﷺ: **«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»**. رواه مسلم. وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: **«لا يغرس من مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة»**.

فاستكثروا رحمني الله وإياكم من الخير، وتنافسوا في خصال البر، وأخلصوا لله في ذلك كله القصدَ، وتأسوا بنبيكم ﷺ تكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

فهرس الموضوعات